

**مادة : الأدب في عصر صدر الإسلام**

**المفردات :**

1 – أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في تطور الأدب .

2 – موقف الإسلام من الشعر والشعراء .

3 – الشعراء المخضرمون ومدى تأثرهم بالإسلام.

4 – حالة الشعر في عصر النبوة والراشدين .

5 – حالة النثر في عصر النبوة والراشدين .

**النصوص الأدبية :**

1 – شعراء الدعوة الإسلامية: ( حسان بن ثابت / كعب بن مالك / عبد الله بن رواحة)

2 – شعراء البادية الذين أسلموا وتوجهوا إلى رسول الله:(كعب بن زهير/ العباس بن مرداس/ النابغة الجعدي ) .

3 – شعر المشركين : ( في مكة ، في الطائف ، شعر اليهود )

4 – شعراء الفتوح الإسلامية : (عبدة بن الطبيب / قيس بن مكشوح المرادي ) .

5 – رثاء: ( أبو ذؤيب الهذلي / مالك بن الريب )

**المصادر :**

* السيرة النبوية – لابن هشام .
* العمدة – لابن رشيق .
* الشعر والشعراء - لابن قتيبة .
* طبقات فحول الشعر – لابن سلام .

**المراجع :**

* العصر الإسلامي – شوقي ضيف .
* تاريخ الشعر السياسي – أحمد الشايب .
* الحياة الأدبية في عصر الجاهلية والإسلام – محمد عبد المنعم خفاجي .
* التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوية – عبد الرحيم محمود زلط .
* في الشعر الإسلامي والأموي – صلاح الدين الهادي .
* شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه – مكي الجبوري .
* الإسلام والشعر – فايز ترحيني .
* شعر الفتوح الإسلامية – د / النعمان عبد المتعال القاضي.

**تعريف العصر الإسلامي ( عصر صدر الإسلام ) :**

**هو العصر الذي يبدأ من بعثة رسول الله ، إلى أن تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية ، رضي الله عنها ، سنة 41 هجرية ، ومدته ثلاث وخمسون عاما هجريا وهو بذلك يشمل عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم .**

والإسلام هو الانقياد والخضوع لله وطاعته سبحانه قال تعالى : " وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له " (الزمر:54) ، وهو عقيدة أساسها التوحيد والإيمان بالله واحد خالق قادر، وبذلك ينقض كل معتقدات الجاهلية . والدين الجديد يشكل تغير شاملاً لكل أوجه حياة الجاهلية ، هذا التغير لم يكن هيناً ميسورة فقد واجه الرسول والمسلمون الأوائل الأهوال والمعاناة.

**أولاً : أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في اللغة والأدب :**

**( 1) أثر القرآن الكريم في اللغة والأدب :**

أ – أثر القرآن الكريم في اللغة :

1. كان للغة قريش منزلة ومكانة عند العرب ، غير أن هذه السيادة لم تكن تامة ، فعمل القرآن على تقريب ما بين هذه اللغات من فروق ، واستكمال السيادة للغة قريش .
2. حفظ اللغة العربية من الانقراض ، وخلع عليها حلية الخلود التي لا تبلى ، فصارت لغةً خالدةً ؛ لأنها لغة أكمل الديانات وآخرها إلى البشرية جمعاء .
3. عمل القرآن الكريم على نشر اللغة العربية وذيوعها في كل البلاد التي تدين بدين الإسلام، فقد اكتسحت العربية ما سواها من اللغات ، واتخذتها شعوب عديدة لساناً لها ، وصار اللسان العربي هو اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي ، كل ذلك بفضل القرآن الكريم .
4. في ضوء حرص المسلمين على فهم القرآن لفظاً ومعناً نجدهم ينْكبُّون على تتبع ألفاظ اللغة العربية الفصيحة ، وجمع مادة اللغة شعراً ، ونثراً ، وأمثالاً ، ووصايا ، وخطب، فتألفت بذلك مادة الأدب القديم التي صارت أساساً للأدب العربي في موضوعاته ، وأثرت في معانيه وأخيلته ، وحرصاً على فهم القرآن اهتم المسلمون بالشعر القديم لفهم ألفاظ القرآن ، مثل : ابن عباس الذي كان عادة يستشهد بالشعر القديم لشرح بعض ألفاظ القرآن ، وكذلك ، وفي ضوء الاهتمام العميق بكتاب الله الكريم ظهرت علوم عديدة تهدف مباشرة لخدمة القرآن الكريم ، مثل : علم القراءات ، وعلم التفسير ، وإعراب القرآن ، وغريب القرآن ، وأساليب النـزول ، وعلم الفقه ، بل لا نبالغ إذا قلنا أن القرآن الكريم كان مبعث نهضة العرب العربية لأن كل العلوم الإسلامية إنما قامت لخدمة القرآن الكريم .
5. أثرى الإسلام العديد من ألفاظ اللغة ، فوسع دلالتها ، وأضاف لمعناها اللغوي معنى اصطلاحي شرعي ، مثل ألفاظ : الصلاة والزكاة والصيام ، والفاسق ، والمؤمن ، والمنافق .

( المطلوب العودة إلى كتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي عن : الألفاظ الإسلامية وتلخيص ذلك )

كما نهى الإسلام عن ألفاظ كانت في الجاهلية ، مثل عم صباحا ، وعم مساء ، وأبيت اللعن ، وتسمية شهر محرم : صفر الأول ، فهذا كله منهي عنه في الإسلام

ب – أثر القرآن الكريم على الأدب :

يمكن أن نلمح ذلك الأثر في المجالات التالية :

1 – على الأساليب . 2 – على المعاني. 3 – على الأغراض. 4- على الفنون الأدبية

القرآن الكريم كان له دوره البارز في النقلة الفنية من الأدب الجاهلي إلى الأدب الإسلامي، وقد تجلت تلك النقلة في الأساليب والمضمون والفنون والأغراض.

على الأساليب:

1. لقد وسّع القرآن الكريم من دلالة الكثير من الألفاظ بنقلها للمعاني الإسلامي، مثل: (الإيمان- الكفر- الصلاة – الصيام – الحج – الزكاة – النفاق) .
2. هذّب كثيراً من الألفاظ الوعرة، عن طريق هجر الألفاظ الوحشية الغريبة والمعيبة ، واستبدالها بالألفاظ العذبة السلسة ، وعدل عن الأساليب المعقدة، إلى الأساليب البيانية الرائعة، كل ما سبق كان نتيجة طبيعية للتأثر بالأساليب القرآنية .
3. لقد بهرت بلاغة القرآن وروعة بيانه الشعراء والأدباء العرب ، فتأثروا بألفاظه وأساليبه ، وعملوا على الاقتباس من آياته ، والاستشهاد بها، في أشعارهم، وخطبهم، ومحاوراتهم ، مما أسبغ على ألفاظهم وضاءة وجمالاً من ذلك قول حسان بن ثابت عن رسول الله عليه السلام :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

فيبدو في هذا البيت تأثر الشاعر بقوله تعالى : " لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " (التوبة:128)

ويظهر هذا التأثر في قول حسان أيضاً :

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن نفع البلاء

تأثر بقول الله عز وجل : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق .." ( الصف:9)

1. شاعت في أساليب الأدباء العذوبة والسلاسة ، وأخذت بأطرافه روح القوة والجمال والوضوح، وعمل الأدباء على التأنق في صوغ الأساليب والتفنن في أنواعها لسريان روح القرآن في قلوب المتكلمين بها.

على المعاني:

1. ارتقى الإسلام بنوازع العرب الوجدانية ، ووجّههم نحو هدف واحد : " ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ( آل عمران ، 102 ) فدعا إلى ترك المبالغة والفحش والكذب، وحث على التزام الصدق والإخلاص والعفاف فيما يأتون من معانٍ .
2. ترك المعاني البدوية النابية، واستعمال المعاني الإسلامية الجديدة ، مثل قول الخطيئة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولست أرى السعادة جمع مال وتقوى الله خير الزاد ذخراً |  | ولكن التقي هو السعيدُ وعند الله للأتقى مزيدُ |

1. ظهور الدقة ، والعمق ، والترتيب العقلي ، ,السمو بالمعاني في الأدب تأثراً بمعاني القرآن الكريم ، ومحاكاة لها .

على الأغراض :

في ضوء هدي القرآن الكريم ترك الأدباء أغراضاً جاهلية ، مثل: سجع الكهان ، الغزل الماجن ، والدعوة للثأر والعصبية ، والمبالغة في المدح والهجاء، وظهرت أغراض جديدة ، مثل: شعر النضال الديني ، وشعر الجهاد ، ومدح الرسول ، وهجاء الكفار ، وهكذا فبعد الفخر بقوة العدد والعدة ، وكسب المغنم ، والفخر بالأدباء والأجداد ، والأحساب والأنساب، جاء الفخر بنيل الشهادة في سبيل الله وانتصار جند الإسلام ، والفوز برضوان الله عز وجل .

على الفنون :

1 – رفع من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر ، مثل : [ رسائل الرسول عليه السلام للملوك والأمراء يدعوهم للإسلام - كتابة العهود ] وبهذا أصبح للنثر أغراض لم تعهد في العصر الجاهلي .

2 – أحياء القرآن فنوناً أدبية جديدة ، مثل : [ القصص – أدب الزهد – أدب الحكمة – التاريخ] ؛ لأن المسلمين تأثروا بما في القرآن الكريم من القصص التي سيقت للعبرة والذكرى، كقصص الأنبياء والملوك ، وهنا قام المسلمون بدراسة تاريخ العرب البائدة، والباقية ، والأمم القديمة، مما جعل التاريخ العربي متعدد المباحث والفروع.

**( 2 ) أثر الحديث الشريف على اللغة والأدب :**

على اللغة :

1. لقد أعان الحديث الشريف على حفظ اللغة العربية ، وعمل على انتشارها وذيوعها في العديد من الأمصار .

على الأساليب والألفاظ :

1. أدخل الرسول الكريم الكثير من التراكيب البيانية الجديدة مما كان له أثره الكبير في توسيع معاني الألفاظ والاشتقاق ، من ذلك قوله عليه السلام : (( الآن حمي الوطيس)) وذلك حين تشتد الحرب، وقوله : (( مات حتف أنفه )) ، قال علي ابن أبي طالب : "ما سمعتها من عربي قبله " ، يريد مات على فراشه ، والحتف: الهلاك ، فكأن صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياؤه ، فلم يرفع الموت أنفه في القوم ، بل أذله وأرغمه ، ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام : (( بعثت في نَفَس الساعة ))أي : قريباً منها ، أحسها كما يحس الإنسان أنفاس من يقاربه ، وقوله عليه السلام لأحد أصحابه : ((إياك والمخيلة )) ، فقال: يا رسول الله ، نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟ قال: (( سبل الإزار)) ، بل إننا لنجد في الحديث النبوي أحرف غريبة من لغات القبائل ، ولقد كان الرسول عليه السلام يخاطب الوفود بلغاتهم ، من ذلك قوله عليه السلام : (( ليس من أمبر أم صيام في أم سفر )) أي : ليس من البر الصيام في السفر، وهذه لغة حمير ، وتسمى طمطمانية حمير ، وهي جعل (ال) التعريف ميماً ، كل ما سبق كان له أثر واضح في اتساع اللغة العربية مادة ومضموناً ، ودعوة للأدباء لاحتذائها واتباع طرائقها ، واتخاذها مثلاً يسيرون على نهجه .
2. ساعد الحديث الشريف على تهذيب الألسنة ، والقضاء على الوحشي والمعقد والغريب من الألفاظ والأساليب ، وأحل محل ذلك السلاسة، والرونق والوضوح والبهاء والبيان ، من ذلك قوله عليه السلام : (( لا يقولن أحدكم خبثَتْ نفسي ، ولكن ليقل : لَقِسَتْ نفسي ))، وهذا توجيه من الرسول لانتقاء الألفاظ الحسنة، وقد أُثر عنه عليه السلام أنه غيَّر أسماء بعض الصحابة القبيحة إلى أسماء جميلة واضحة .

على المعاني :

* اتجه الأدباء إلى الدقة والإحكام والترتيب والسمو بالمعاني في أدبهم تأثراً بالبيان النبوي.
* تركوا المبالغات في الفخر والهجاء والغزل الماجن واتجهوا للعفة والطهر والشرف .
* اقتبس منه الخطباء والكتاب والشعراء الكثير من المعاني والأفكار في أدبياتهم .

على الأغراض :

* اتجهت الأغراض لصالح الدعوة والتعبير عن روحها ، من دفاع عن الدين ، ومدح للرسول ، وجهاد ونضال ، وهجاء للكفار ، ومنافحة عن الدعوة .

على الفنون :

* رفع من شأن النثر ، وهذّب فنون الأدب، ونفّر من سجع الكهان بسبب استخدام الكهان له قديماً ، لذلك صدّ عنه الرسول وكذلك الخلفاء.

**( 3) أثر الحديث الشريف في نهضة العرب العلمية :**

صار الحديث محوراً لنشأة بعض العلوم الدينية والعربية التي وضعت لدراسة الحديث ، كعلوم الحديث وتفسيره ، وغريبه ، ومصطلحه ؛ لأن الحديث هو المصدر الأول لتفسير كتاب الله ، وفيه تفصيل ما أجمل في القرآن الكريم ، فانكب عليه المسلمون يدرسونه ويشرحونه ، فظهرت علوم عديدة ، مثل: [ علم الجرح والتعديل – كتب الطبقات – كتب السير والمغازي ] فالحديث هو الذي فتح باب الكتابة التاريخية في حضارتنا، وهيأ لظهور كتب الطبقات في كل الفنون.

مرجع المحاضرة : المزهر في علوم اللغة – السيوطي

دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي – محمد عبد المنعم خفاجي

**المحاضرة الثانية – موقف الإسلام من الشعر والشعراء**

لقد ظنَّ البعض عن جهل ، أو عن سوء نية وقصد أن الإسلام قد اتخذ موقفاً عدائياً من الشعر والشعراء ، ويمكن أن نجمل دوافع إطلاق هذه المقولة فيما يلي من الأسباب مع الرد عليها:

1. الآية القرآنية التي يقول فيها الحق عز وجل : وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (سورة الشعراء : 224-227) .

الـــــــــــرد :

أن الحق عز وجل في الآية الكريمة لم يهجن من الشعر إلا الذي يناهض الدين ، ويدعو إلى ما لا يرضاه الدين القويم ، وتأباه الأخلاق الكريمة ، أما ما سوى ذلك من الشعر فإنه يدعو إليه ، ويحث عليه، أي أن الآية تحدد أبعاد حرية الشعراء ، وتذم شعراء المشركين الذين كانوا يؤذون الرسول بشعرهم قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : " الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر عنهم فيتكثرون بما ليس لهم، وأكثر قولهم يكذبون فيه، وهم يهيمون في كل فن من القول فيخوضون مرة في شتيمة فلان ، ومرة في مديحة فلان ، فالشاعر يمدح قوماً بباطل، ويذم قوماً بباطل " . فقوله تعالى : وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " قال عنه أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ، وذكر مقاتل أسماءهم، فقال: منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومشافع بن عبد مناف. وأبو عزة بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب وبالباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي وأصحابه، ويروون عنهم وذلك . قوله: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ هم الرواة الذين يروون هجاء [النبي و المسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين." وهذا لا يعني أن الإسلام ضد الشعر ، ولذلك جاء الاستثناء في الآية : " إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ " فالإسلام حيث على الشعر الملتـزم بمبادئ الدعوة ، الذائد عن الحق ، ولو أن الشعر حرامٌ أو مكروه ما اتخذ النبي عليه السلام شعراءً يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم، ولقد قال عليه السلام: ((إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة )) ، ورسالة الشعر سامية ، لا تدعو للفحش ولا إلى الزور ، لأنها مستمدة من روح الإسلام ودعوته، أما ما بقي على عهد الجاهلية، وحارب الإسلام ، فقد عاداه الدين للجوجه في الكفر والعصيان .

1. قول الرسول عليه السلام : (( لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيه خير له من أن يمتلئ شعراً ))

الــــــرد:

لقد بنى البعض على هذا الحديث حكماً جائراً يصم الإسلام بمحاربة الشعر ، بينما المقصود في الحديث ذم من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه، وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، وأما الشعر الذي يتخذ للأدب وإقامة المروءة ، وتهذيب الأخلاق والنظر في ملكوت الله فلا جناح عليه، وقد أنشد الشعر كثير من الخلفاء الراشدين , وجِلَّة من الصحابة والتابعين ، والفقهاء المشهورين .

1. لم يؤثر عن الرسول عليه السلام نظم الشعر ، لا قبل البعثة ولا بعدها، وهذا دليل على مهانة الشعر وعداء الإسلام له .

الــــــــــــــرد :

إن النهي الموجّه للرسول عن نظم الشعر في قوله تعالى : " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (يس:69) كان لحكمة الله العلي القدير ، فالإسلام رسالة سماوية مقدسة ينبغي صياغتها والاحتراز عن أي ثغرة قد تفتح مجال القول للكفار والمنافقين ، ولو أن الرسول قبل بعثته أو بعدها قام بنظم شيء من الشعر لقالوا إن هذا القرآن شعرٌ من شعره، وبذلك يحدث التباس وخلط بين القرآن الكريم وما قد يقوله الرسول من أشعار ، ولذلك شاءت إرادة الله العليم الحكيم ألا يعرف عن الرسول قول الشعر لا قبل البعثة ولا بعدها لتكون الرسالة السماوية بعيدةً عن كل شبهة والتباس .

1. من أدلتهم المتهافتة ما يذكرون من انصراف لبيد بن ربيعة عن قول الشعر بعد إسلامه، وما يرون في ذلك من دلالة على مهانة الشعر .

الــــــــــــــــــرد :

أ – أن تصرف الفرد ليس بقاعدة، وانصراف شخص واحد ليس قانوناً يسري على الجميع .

ب – أن لبيد كان قد بلغ من الكبر عتياً حين دخل الإسلام وأراد أن يقضي ما بقي له من عمر في رحاب القرآن والتعبد .

ج – أن لبيد بُهر بما شهد من بلاغة القرآن ؛ فأذهلته عما كان من سابق أمره .

د – أننا نجد في ديوان لبيد أشعاراً له إسلامية .

1. زجر عمر - - لحسان بن ثابت - - حين سمعه ينشد الشعر في مسجد رسول الله --

الـــــــــــــرد:

أبلغ رد هو ما قاله حسان : دعني عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير عليّ ذلك، قال عمر : صدقت وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري : مُرْ من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب .

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً بالعراق يكرهون الشعر ، قال: لقد نسكوا نسكاً أعجمياً.

وسئل ابن سيرين عن رواية الشعر في المسجد في شهر رمضان، وقد قال قوم إنها تنقض الوضوء ، فقال:

نبئتُ أن فتاة كنت أخطبها عرقوبُها مثلُ شهر الصوم في الطول

ثم قام فأمّ الناس.

وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر ، قيل إنها كانت تروي جميع شعر لبيد.

بعد العرض السابق يحق لنا أن نتساءل : ما هو حكم الدين على الشعر؟ إن النظرية الدينية للشعر تبدو جلية من خلال : (الآيات القرآنية – أحاديث الرسول – مواقف الصحابة والتابعين):

* الآية القرآنية التي في سورة الشعراء تحدد صنفين من الشعر: الشعراء الغواة، والشعراء الصالحين، فالأمر لا يتعلق بفن الشعر، بل بالجهة التي يسخّر لها فنَّ الشعر ، فإن سُخِّر للخير والطهارة فهو ممدوح محمود، والعكس صحيح .
* وفي الأحاديث الشريفة نجد أن الرسول عليه السلام يقبل على الشعراء ، ويشجعهم ، ويستنشدهم ، وقوله عليه السلام : (( إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه )) ، وقال عليه السلام : (( إنما الشعر كلام : فمن الكلام خبيث وطيب )) وكان يحث شعراء المسلمين على الدفاع عن الدعوة والرد على شعراء المشركين ، بل نراه يستنشد أحد الصحابة الكثير من شعر أمية بن أبي الصلت .
* وكذلك فإن أصحاب رسول الله وخلفاؤه كانت مواقفهم من الشعر مستمدة من مواقف الرسول ومصلحة المسلمين ، سئل الحسن البصري : أكان أصحاب رسول الله يمزحون؟ قال: نعم . ويتقارضون من القريض وهو الشعر، فالإسلام لم يقطع ما بينهم وبين الشعر مادام في حدود ما أباحه الإسلام ، وضمن مكارم الأخلاق ، قال جابر بن سمرة : (( جالست رسول الله أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد ، وأشياءً من أمر الجاهلية، فربما يبتسم رسول الله ، وكان عمر يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، قال ابن سلام : ((كان لا يكاد يعرض أمر إلا أنشد فيه بيت شعر )) ، أما ما حدث من حبس عمر للخطيئة فذلك لإقذاعه في هجاء الزرقان بن بدر، ولما استرحمه بالشعر وعاهده ألاّ يعود لمثلها أطلقه عمر، وكذلك فعل عثمان مع ضابيء البرجمي حين هجا جماعة من الأنصار بهجاء فاحش فحبسه، وقد حاول ضابي اغتيال عثمان فظل في حبسه حتى مات .

المحاضرة الثالثة : حال الشعر في عصر صدر الإسلام :

( من بحث الدكتور معين جعفر الطائي – حالة الشعر العربي في صدر الإسلام – بحث منشور في مجلة المورد – تصدرها وزارة الثقافة والإعلام – العراق – المجلد التاسع – العدد الرابع – 1404هجرية – 1981م – ص 267 وما بعدها )

هناك رأيان مختلفان عن حال الشعر في صدر الإسلام ،

الرأي الأول يرى أن الشعر قد أصابه ركود ، وشابه شوب من الضعف بعد مجيء الإسلام

الرأي الثاني يرى أن الشعر ازدهر وتفتقت له آفاق جديدة بعد مجيء الإسلام

مناقشة الرأي الأول : يرى أصحاب هذا الرأي أن هناك جملة من العوامل أثرت على الشعر والشعراء ، مما أدى إلى شيء من الركود والضعف في شعر ذلك العصر ، من تلك العوامل :

الفتوحات ، ونزول القرآن وما أدهشهم من بيانه الرفيع المعجز .

**من أبرز من ناقش ذلك من القدامى : (ابن سلام ، وابن خلدون )**

**كلام محمد بن سلام الجمحي – رحمه الله - كان متجها لرواية الشعر ، وأثر الفتوحات على ذلك :**

أي أن ابن سلام يناقش - حسب رأيه – حال رواية الشعر ، وليس حال الشعر نفسه ، حيث ناقش :

1 – الانشغال المزعوم عن رواية الشعر .

2 – أن هذا الانشغال هو سبب قلة ما وصلنا من الشعر القديم . حيث قال :

" قال ابن سلام ، قال ابن عون ، قال ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطاب : "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه "، أورد ابن سلاّم هذا النص لعمر – رضي الله عنه - ثم علّق عليه بقوله : " " فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير ، وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو وأهل بيته به ، صار ذلك إلى بني مروان "

( طبقات فجول الشعراء – تحقيق : محمود شاكر - ج 1 – ص 25)

1. قوله مخالف للواقع المذكور الثابت في كتب الأدب والتاريخ والسير .

وفي آخر كلامه حق ، وهو قوله : "فحفظوا أقل ذلك . وذهب عليهم منه كثير "

ووسطه باطل " فلم يؤلوا إلى ديوان مدون ولا تاب مكتوب" ، فقد ذكر ابن سلام نفسه أن النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك إلى بني مروان " ، أما قوله : " تشاغلت عنه العرب " فيحتاج إلى فضل بيان

وذلك أنه من الثابت تاريخيا استمرار العرب في رواية الشعر وتناشده وقرضه في عصر صدر الإسلام ، فالعرب في ذلك العهد لم يتوقفوا عن قول الشعر وروايته دفاعاً عن الدعوة أو معاداة للدعوة .

انظر: ناصر الدين الأسد – مصادر الشعر الجاهلي ( ص 204 – 215 ) ، ط5

ويلاحظ من خلال كل ما سبق أن ابن سلام كان يناقش قضية ضياع الشعر وليس قضية قلته بسبب الإسلام .

1. كيف يستقيم القول بانصراف العرب عن الشعر في صدر الإسلام مع أن التاريخ يثبت أنهم لم يتوقفوا عن إنشاده ، فكتب الأدب تزخر بأدب صدر الإسلام وقصائده المتوهجة ، بل إن الأدب ليواكب كل حدث من أحداث الدعوة، من هجرة وغزوات ونحوها، وقد بلغ الأمر أن صار الشعرُ سلاحاً من أسلحة الجهاد ضد أعداء الدين ، وبعد أن بسط الإسلام نوره على الجزيرة ، نرى الشعر ينطلق مع جيوش الفاتحين فالأحداث ساعدت على ازدهار الشعر؛ لأن معركة الإسلام ضد الوثنيين زادت من اشتعال جذوة الشعر ، وانطقت ألسنة الشعراء .
2. لقد صار للرسول عليه السلام شعراء يدافعون عن الإسلام ويدعون له (حسان/ كعب/ عبدالله) وقصة وفد تميم خير مثال على ذلك ، حيث قدم هذا الوفد على رسول الله ومعهم شاعرهم وخطيبهم ، فأمر الرسول حسان بن ثابت أن يرد على شاعرهم الزبرقان بن بدر، فقال قصيدته :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنةً للناس تتبعُ

وبعد أن أتمّ القصيدة قام الأقرع بن حابس فقال : " إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبة أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا " فالشعر سلاح للدعوة.

1. إن الأحداث الكثيرة التي واكبت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها حتى انتشارها أدت إلى ازدهار الشعر لا إلى خموله ، وفتحت أمام الشعراء آفاقاً واسعة للقول لم يعرفوها من قبل، فبدت موضوعات جديدة: (شعر النضال الديني - مدح للرسول ) وإن خير ما يؤيد قولنا بإذكاء الإسلام جذوة الشعر هو (إظهار الشاعرية القرشية) التي كانت مخبؤة في الجاهلية ، فقد تفتحت قرائح قريش الشعرية في عصر صدر الإسلام ، بهدف محاربة الدين والرسالة، وبعد أن أسلموا قالوا الأشعار في الاعتذار للرسول والدعوة للدين (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب – ابن الزبعرى) فأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قرشي قريب الصلة برسول الله ناصبه العداء في بداية الدعوة ، وقال الأشعار في هجاء الإسلام والرسول ، مع أنه لم يقل شعراً في الجاهلية .
2. المقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي من حيث الكم مقارنة جائرة لأن زمن الجاهلية يشمل مئتي عام ، بينما عصر صدر الإسلام يشمل ثلاثاً وخمسين عاما فقط ، فكمية الشعر عبر مئتي عام لابد أن تختلف عن شعر مدة زمنية تقارب خمسين عاماً .
3. أن بعض من الشعر الذي أنشده المشركون ضاع ؛ لتحرج الرواة عن روايته وإذاعته بين الناس لما فيه من صد عن الدين ، حتى أن بعض الشعراء الذين كانوا يهاجمون الإسلام حين أسلموا ودخلوا في الإسلام صاروا هم أنفسهم يتحرجون من رواية أشعارهم السابقة ، ويتمنون نسيان الناس لها (أبو سفيان بن الحارث)، ومع ذلك فقد بقي منه طائفة تدل عليه .
4. الكثير من شعر هذه المدة لا يزال غائباً في بطون الكتب متفرقاً في كتب الطبقات، والتاريخ، وتراجم الصحابة ، وبعضها لا يزال في مخطوطات لم تحقق وتطبع وتنشر ، ولو نظرنا إلى السيرة النبوية لابن هشام لوجدنا الكثير من شعر تلك الحقبة ، ولو قمنا بعملية تنقية للصحيح من الموضوع لانتهينا إلى حصيلة شعرية ثمينة تعود لصدر الإسلام .

**ابن خلدون :**

ابن خلدون علل حال شعر صدر الإسلام بما أدهش العرب من بيان القرآن ، حيث قال ابن خلدون : ثم "انصرف العرب عن ذلك ( أي الشعر ) أول الإسلام بما شغلهم عن أمور الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد من الملة، ولم ينـزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه الرسول وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه ". المقدمة – ص 581

**الـــــــــرد:**

1. آخر كلامه ينقض أوله ، بين الانصراف عن الشعر ، وإثابة الرسول عليه ، فنحن نعرف حث الرسول حساناً على قول الشعر سلاحاً للدعوة ، إضافة إلى رد شعراء الرسول على شعر الوفود القادمة على الرسول ؛ بل إن الشعر وسيلة استقطاب للرسول مثل ما فعل كعب بن زهير الذي أنشد قصيدته ، فعفا عنه الرسول وخلع عليه بردته .
2. يلاحظ أن ابن خلدون كان ينظر للأمر نظرته إلى ظاهرة اجتماعية : " كل جديد يبهر ويستأثر بالانتباه زماناً" ولكن فات ابن خلدون أن القرآن ليس بشيء يبلى بتقادم العهد ، ,وليس بالشيء الذي يدهش زمناً ثم تنقطع دهشته ؛ لأن معجزته خالدة على مَرّ الأزمان مدهشة لكل الأجيال، وليس لمدة محددة ، أو زمن معين فهذ الأمر لا ينطبق على القرآن أبداً ، لأنه يدهش ويبهر دوماً وأبداً ببلاغته وإعجازه([[1]](#footnote-1)).

الرأي الثاني : يرى أصحاب هذا الرأي أن الشعر قد نما وازدهر في ذلك العصر ، وتفتحت أمامه أبواب جديدة للقول ، وصار سلاحا ماضيا مؤثرا في مستقبل الأمة وحضارتها .

مثلا : نجد أن شعر المدح وشعر الهجاء قد تحررا من قيود القبلية الضيقة ، وحلقا في علياء رابطة الدين ، وقس على ذلك الصور الفنية والتراكيب والألفاظ ، حيث نالت مددا إلهيا نورانيا من القرآن الكريم

ولا أدل على نشاط الشعر وتوقد جذوته من اتخاذ الرسول الشعر وسيلة للدعوة ، ولو كان شعر ذلك العصر ضعيفا ذاويا لما جعله الرسول أداة جهاد ودفع عن حياض الدين ، وحين نقلب كتب السير والمغازي نجد الشعر يرافق كل خطوات الدعوة ، من كلا المعسكرين : أهل الإيمان ، وأهل الكفر . ونرى الشعر ينطلق مع جيوش الفتح شرقا وغربا ، معبرا عن كل المواقف والمشاعر .

**المحاضرة الرابعة : الشعراء المخضرمون وأثر الإسلام فيهم**

1 – معنى المخضرم .

2 – تحديد زمن المخضرمين .

3 – ما المقصود بالشعراء المخضرمين .

4 – ما مدى تأثرهم بالإسلام .

**1 – معنى مخضرم :**

الأصل في هذه الكلمة ( خ ، ض ، م) والراء فيها زائدة ، وأصل الخضرمة أن يجعل الشيء بين بين، ولقد وردت كلمة (خضرم) في كتب العربية بمعان عدة، فمن ذلك :

1 – الكثرة والسعة :

يقال: " بئر خِضْرم" أي: كثيرة الماء ، وكل شيء واسع (خِضْرم) ، وكل كثير خِضْرم ، فالخضرم الذي استوفى الأمرين ، الجاهلية والإسلام ، فكان واسع العمر، كثير المشاهد .

2 – القطع :

يقال : ( ناقة مُخَضْرَمة) : أي قطع طرف أذنها ، وقد كان أهل الجاهلية يقطعون آذان نعمهم في مواضع معينة، فلما جاء الإسلام صاروا يقطعون من آذان نعمهم في غير الموضع المعهود في الجاهلية ، فكانت خضرمة أهل الإسلام مختلفة عن خضرمة أهل الجاهلية ، وقد جاء الحديث أن قوماً من بني تميم أُغير عليهم ، وسيقت نعمهم، فذكروا أنهم خضرموا خضرمة أهل الإسلام ، فردوا أموالهم عليهم ، فقيل لكل من أدرك الجاهلية والإسلام (مُخَضْرم ) لأنه أدرك الخضرمتين : خضرمة الجاهلية ، وخضرمة الإسلام ، وقيل : لأنه قطع من الكفر إلى الإسلام .

3 – الخلط :

يقال طعام مخضرم ، أي : ليس بحلو لا مر . وماء مخضرم : بين الحلو والملح . ولذلك قيل لمن عاش في الجاهلية والإسلام : (مخضرم ) لأنه خلط عهدين مختلفين([[2]](#footnote-2)) .

**2 – تحديد زمن المخضرمين :**

المدة الزمنية الممتدة من بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى عهد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، أي ثلاث وخمسون سنة .

**3 – ما المقصود بالشعراء المخضرمين :**

هم الذين نبغوا في الشعر في زمن الجاهلية ثم دخلوا في الإسلام ، أي أدركوا الجاهلية والإسلام سواء أدرك صحبة الرسول أم لا .

**4 – مدى تأثرهم بالإسلام :**

إن من يقرأ في شعر المخضرمين متصفحاً ما تفرق منها في كتب التاريخ في الأدب يجد جمهور الشعراء يصدرون في الكثير من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها، وخالطت شغاف قلوبهم، سواء منهم شعراء المدينة ، وهؤلاء كان لهم النصيب الأوفر من التأثر بقيم الإسلام ، أو شعراء مكة بعد إسلامهم أو شعراء نجد والبوادي .

أ – نبدأ بشعراء المدينة :

فهم الذين وقفوا مع الرسول يدافعون عنه، ومع أن طبيعة الصراع بين المسلمين وكفار قريش كانت معركة دينية في جوهرها . فإن المعركة الشعرية كانت جزءاً أساسياً منها، وسلاحاً ماضياً فعالاً من أسلحتها، وأبرز شعراء المدينة : [ حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ] .

فهؤلاء الشعراء طفقوا يستمدون الكثير من الألفاظ والمعاني من كتاب الله الكريم، وبدا في أشعارهم التصور الجديد القائم على روح الإسلام للعلاقات الاجتماعية، وحين نتأمل الردود الشعرية لهؤلاء الشعراء الثلاثة على شعراء المشركين نجد أنهم رغم اتفاقهم على هدف واحد هو نصرة الله ورسوله ، إلا أنه كان لكل منهم طريقته لتحقيق هذا الهدف ، فكان حسان وكعب يعارضان شعراء قريش بالوقائع والأيام ، والأحساب والأنساب فيكشفون مثالب الخصوم من هذه المداخل ، أما عبد الله بن رواحة فكان يعيّرهم بالكفر ، فكانوا في أيام كفرهم يجدون أشد القول قول حسان وكعب وأهون القول قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

ومن أشعارهم التي يبدو فيها التأثر الجلي بروح الإسلام قول ابن رواحة :

شهدتُ بأن وعدَ الله حقٌّ وأنَّ النارَ مثوى الكافرينا

وقول حسان بن ثابت عن موقعة الأحزاب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فكفى الإله المؤمنين قِتَالَهم  من بعد ما قنطوا ، ففرَّق جمعهم |  | وأثابهم في الأجر خير ثواب  تنـزيل نصر مليكنا الوهّاب |

فالبيتان يستمدان مدلول الآية الكريم و : " َرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا " (الأحزاب : 25)

ويقول كعب بن مالك عن جلاء يهود بني النضير عن المدينة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نذير صادق أدَّى كتاباً  فقالوا: ما أتيت بأمر صدقٍ فلما أُشربوا غدراً وكفراً  أرى الله النبي برأي صدقٍ فأيّده وسلّطه عليهم |  | وأيات مبينة تنيرُ وأنت بمنكر منا جديرُ وحاد بهم من الحق النفورُ وكان الله يحكم لا يجورُ وكان نصيره نعم النصيرُ |

فروح الإسلام تشع في الأبيات ، ويظهر في البيت الثالث التأثر بوصف اليهود في سورة البقرة : " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " (البقرة: 93)

أما بالنسبة لشعراء قريش فرغم عداوتهم السابقة للإسلام إلاّ أنهم بعد فتح مكة ، وبعد انضمامهم لصفوف المسلمين ، ما فتئوا يكفرون عما سلف منهم ، فيعتذرون للرسول عليه السلام، قال ابن الزبعرى :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا رسول المليك إنَّ لساني إذ أُجاري الشيطان في سنن الغـ آمن اللحمُ والعظام بما قلـ |  | راتقٌ ما فتقت إذا أنا بور ـيّ، ومن مال ميله مثبور ـتَ ، فنفسي الفداء، وأنت النذيرُ |

بل لقد رثوا الرسول بعد وفاته كقول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقد عَظُمَتْ مصيبتُنا وجلَّت نبيٌّ كان يجلو الشك عنا |  | عشية قيل: قد قُبض الرسول بما يوحى إليه وما يقول |

وحين نتجه إلى شعراء نَجْد والبوادي نَجِدُ الشعراء يقتبسون من نور الإسلام ، فهذا عبدة بن الطبيب([[3]](#footnote-3)) يوصي أولاده حين كبر وضعف بصره :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أُوصيكم بتُقى الإله فإنه وببرِّ والدكم وطاعة أمره ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم |  | يُعطي الرغائب من يشاء ويمنعُ إنَّ الأبرَّ من البنين الأطوعُ إنّ الضغائن للقرابة تُوضَعُ |

توضع : سريعة التفشي ، من أوضع البعير إذا حملته على العدو .

وقوله يرثي قيس بن عاصم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ فلم يك قيس هَلْكُهُ هَلْكَ واحدٍ |  | ورحمته ما شاء أن يترحما ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما |

ومنهم : سويد بن أبي كاهل اليشكري ، وذلك حين يتحدث عن خصم دنيء النفس يغتابه ويؤذيه، ويصفه وصفاً يستلهم فيه قوله تعالى : " وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ " ( (الحجرات: 12) .

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ربَّ من أنضجتُ غَيْظاً قَلْبَه قد كفانِي اللهُ مَا في نَفْسِه بئس ما يجمع أن يغتابني لم يضرني غير أن يحسدَني ويحييني إذا لا قيته |  | قد تمنى لِي موتاً لم يُطَعْ  ومتى ما يِكِف شيئاً لا يُضَعْ مَطْعَمٌ وَخْمٌ وداء ُيدَّرع فهو يَزقوا مثل ما يزقو الضَّوع  وإذا يخلو له لحمي رتع |

وِخْم: ثقيل غير مرين يدرع : يلبس يزقو: يصيح

الضوع : ذكر البوم ، وقيل طائر صغير . رتع : أكل بشره .

بل نجد تأثر الإسلام حتى عند عبد بني الحسحاس الذي تغزل غزلاً فاحشاً جعل قومه يقتلونه ، ونراه يقول :

عميرة ودع إن تجهزت غازياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وهكذا فأشعة الإسلام النيرة نفذت إلى قلوب شعراء جزيرة العرب ، حتى أهل البادية منهم ، مثل النابغة الجعدي ( عبد الله بن قيس) وفد مع قومه سنة 9هـ وأسلم ، وأقام في المدينة مهاجراً ثم انطلق مع الفاتحين ، وفي أيام الفتنة كان مع علي ، من ذلك قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَنَعَ الغدر فلم أهْمُمُ به خشية الله ، وأني رجلٌ |  | وأخو الغدر إذا هَمَّ فعلْ إنما ذكري كنار بقَبَلْ |

القبل: النشز الذي يستقبلك من الأرض .

**الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين**

**1 ) في عصر الرسول عليه السلام :**

حين بعث الله نبيه بدين الإسلام آمن به أقوام ، وعاداه آخرون ، وكانت قريش ممن حاد الله ورسوله ، مما اضطره إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ، وسرعان ما نشبت بين البلدتين معركة حامية الوطيس، وكان من أسلحة هذه المعركة (الشعر ) فبرز في قريش العديد من شعراء يهاجمون الإسلام، وأخذوا يؤذون الرسول بأشعارهم، ويصدون عن سبيل الله ، فقال عليه السلام للأنصار: ((ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ )) فقال حسان بن ثابت : أنا لها " وانضم إليه كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة واحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة ، وحين نتصفح كتب الأدب والتاريخ نجد أن الشعر يواكب كل الأحداث ، فتجد عقب كل موقعة حربية ما قيل فيها من الشعر من الطرفين، من ذلك ما قيل من أشعار في غزوة بدر من الطرفين لتشعل جذوة الحماس في النفوس ، فها هو د/عمير بن الحمام يقذف ثمرات كان يأكلها في بدر ويقول : بخ بخ فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أنه يقتلني هؤلاء ، ويأخذ سيفه ويندفع للقتال وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ركضاً إلى الله بغير زاد  والصبر في الله على الجهاد |  | إلاّ التقوى وعمل المَعَاد وكل زادٍ عُرْضَةُ النفادِ |
| غير التقى والبر والرشاد | | |

وها هو ذا حسان بن ثابت يفاخر بنصر المسلمين في بدر، وما كان من إلقاء الرسول لقتلى المشركين جماعات في القليب في قصيدته التي مطلعها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عرفتُ ديارَ زينب بالكثيب |  | كخطِّ الوحي في الورق القشيب |

حيث يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يناديهم رسول الله لما  ألمَّ تجدوا كلامي كان حقاً فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا: |  | فذفناهم كباكب في القليب  وأمر الله يأخذُ بالقلوب صدقت ، وكنت ذا رأي مُصيب |

وأما المشركين فيرثون قتلاهم ، ويهددون بالثأر ، من ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا بكيت على الكرا  ماذا ببدر فالعقذ شمط وشبان بهالـ ألا ترون كما أرى |  | م بني الكرام أولي الممادح  ـقل من مرازبة جحاجح سيل مغاوير وحاوح ولقد أبان لكل لامح |

وهكذا كان الشأن في كل الأحداث فإن الشعر يرتفع من كلا المعسكرين ، وفي النهاية يأذن الله بالنصر لدينه ورسوله وتفتح مكة سنة 8هـ ، وينداح نور الإسلام في الجزيرة العربية كلها ونجد شعراء قريش يفزعون إلى ساحة الرسول الكريم يطلبون عفوه ، وقصة كعب بن زهير مشهورة في ذلك ، ومثله أنس بن زنيم فقد سبق له أن هجا رسول الله ، ثم ثاب إلى رشده فقدم عليه معتذراً وأنشده أبياتاً يمدحه فيها .

وحين ينتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى يبكيه الشعراء بكاءً حاراً ، من ذلك قصيدة قال حسان في مطلعها :

ما بال عيني لا تنام كأنها كُحِلت مآقيها بكحل الأرمد

وبذلك يتضح أنه الشعر حياة الرسول كان يجري على كل لسان ، وحين تراجع سيرة ابن هشام ، والكامل ، وتأريخ الطبري تجد الأشعار تتدفق على كل الألسنة مع كل حدث .

**في عصر الخلفاء الراشدين :**

عم نور الإسلام جزيرة العرب ، وتم القضاء على الوثنية ، وكان أخطر تحدٍ واجه أبا بكر الصديق حين تسلم الخلافة هي موجة الردة المتمثلة في منع أداء الزكاة ، فانطلقت جيوش المسلمين من المدينة لتعيد المرتدين إلى حظيرة الإسلام ودارت معارك استحرّ فيها القتل ، والتهبت معها قلوب الشعراء بالأشعار من الطرفين كذلك .

فالمسلمون ينشدون أشعار الحماسة الدينية كقول أوس بن بجير الطائي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وليت أبا بكر يرى من سيوفنا ألم تر أن الله لا ربّ غيره |  | وما تختلي من أذرع ورقاب  يصبُّ على الكفار سوط عذاب |

تختلي : تقطع .

وكذلك فإن للمرتدين أشعاراً يثيرون بها عزائمهم من ذلك قول أبي شجرة بن عبد العزى السُّلمي حين ارتد :

فرويت رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأرجو بعدها أن أُعمَّرا

ثم إن أبا شجرة أسلم ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب أتى عمر وهو يعطي المساكين فقال: يا أمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة . قال ، ومن أنت؟ قال أبو شجرة ، فقال: أبو شجرة، أي عدو الله ألست الذي تقول :

فرويت رمحي من كتيبة خالد وأني لأرجو بعدها أن أعمرّا

ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدواً ، فرجع إلى ناقته فارتحلها .

وبعد أن استقر الأمر في الجزيرة ، انطلقت جيوش الفاتحين حاملة لواء الدين إلى آفاق الأرض نحو الشام ونحو العراق.

وفي كل فتح من الفتوح تلقانا أشعاراً حماسية كثيرة ينشدها المجاهدون الفاتحون، مثل قول عمرو بن معد الزبيدي ، وربما هي للنجاشي الحارثي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| والقادسية حين زاحم رستم  الضاربين بكل أبيض مخذم |  | كنا الحماة بهن كالأشطان والطاعنين مجامع الأضغان |

وكانت معارك الفتح تخلف الكثير من القتلى فيبكيهم الشعراء بالرثاء الرقيق ، كقول كثير التميمي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سقى مُزْن السحاب إذا استهلت وما بي أن أكون جزعت إلاّ ورب أخ أصاب الموت قلبي |  | مصارع فتية بالجوز جان حنين القلب للبرق اليماني بكيتُ ولو نُعيتُ له بكاني |

وتصف الأشعار ما كان يعانيه أهل المجاهدين من ألمّ فراقهم ، وقد كان للمخبل السعدي ابن اسمه شيبان خرج لجهاد الفرس ، وكان أبوه قد أسن وضعف ، فافتقد ابنه ومضـى إلى عمر فأنشده قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا قال صحبي : يا ربيع ألا ترى؟ ويخبرني شيبان أن لي تعقني |  | أرى الشخص كالشخصين وهو قريبُ تعق إذا فارقتني وتحوب |

فأمر عمر برد شيبان إلى أبيه فرده ولم يزل عنده حتى مات .

ونرى كذلك أمية بن حرثان يبكي فراق ولده كُلاب الذي خرج لجهاد الفرس :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمن شيخان قد نشدا كلابا إذا هتفت حمامة بطن وجٍّ تركت أباك مرعشة يداه |  | كتاب الله إنْ حفظ الكتابا على بيضاتها ذكرا كلابا وأمك ما يسيغ لها شرابا |

فأمر عمر برده إلى والديه ، وأن لا يغزو من له أب هرم إلا بعد أن يأذن راضياً بهجرته وجهاده. وهذا كله يصور لنا بجلاء اندفاع شباب الإسلام إلى الجهاد في سبيل الله . كل هذه الأحداث وغيرها كثير أذكت جذوة الشعر العربي بقوة وحيوية.

**شعراء الدعوة الإسلامية**

**حسان بن ثابت (رضي الله عنه )**

**اسمه وحياته :**

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ، وهو من المخضرمين المعمرين ، كان شاعر الخزرج المدافع عنهم قبل الإسلام ، وكان متصلاً بالغساسنة ، ومدحهم بشعر جزل ، وكان لسان قومه في حروبهم وبعد هجرة الرسول للمدينة ودخل حسان الإسلام ، ووقف مجاهداً بشعره أعداء الدين، وقد دعا له الرسول بقوله : (( اللهم أيده بروح القدس )) وقال عليه السلام عن شعره : ((لهذا أشد عليهم من وقع النبل )) ، وكان يركز في هجائه كفار قريش على الأيام التي هزموا فيها ، ويعيِّرهم بالمثالب والأنساب ، ولذا نرى الرسول عليه السلام يقسم له من المغانم ويهديه (سيرين) أخت مارية القبطية ، وظل الخلفاء من بعد رسول الله – عليه السلام – يفيضون له في العطاء ، وقد استحق أن يسمى (شاعر الإسلام والرسول ) ، وكذلك نرى النقاد يتفقون على أنه أشعر أهل المدن، وأشعر اليمن ، ومما يدل على عظمة شعره قصته مع وفد بني تميم، وإسلامهم.

( القصيدة ) :

**عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ، إلى عذراءَ منزلها خلاءُ**

**دِيَارٌ مِنْ بَني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ، تعفيها الروامسُ والسماءُ**

**وكانَتْ لا يَزَالُ بِهَا أنِيسٌ، خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ**

**فدعْ هذا، ولكن منْ لطيفٍ، يُؤرّقُني إذا ذَهَبَ العِشاءُ**

**لشعثاءَ التي قدْ تيمتهُ، فليسَ لقلبهِ منها شفاءُ**

**كَأَنَّ سبيئةً مِن بَيتِ رَأسٍ يَكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وَماءُ**

**عَلى أنْيَابهَا، أوْ طَعْمَ غَضٍّ منَ التفاحِ هصرهُ الجناءُ**

**إذا ما الأشرباتُ ذكرنَ يوماً، فَهُنّ لِطَيّبِ الرَاحِ الفِدَاءُ**

**نُوَلّيَها المَلامَة َ، إنْ ألِمْنَا، إذا ما كانَ مغثٌ أوْ لحاءُ**

**ونشربها فتتركنا ملوكاً، وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ**

**عَدِمْنَا خَيْلَنا، إنْ لم تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُها كَدَاءُ**

**يُبَارِينَ الأسنّة َ مُصْعِدَاتٍ، عَلَى أكْتافِهَا الأسَلُ الظِّماءُ**

**تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ، تلطمهنّ بالخمرِ النساءُ**

**فإما تعرضوا عنا اعتمرنا، وكانَ الفَتْحُ، وانْكَشَفَ الغِطاءُ**

**وإلا، فاصبروا لجلادِ يومٍ، يعزُّ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ**

**وَجِبْرِيلٌ أمِينُ اللَّهِ فِينَا، وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ**

**وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أرْسَلْتُ عَبْداً يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ**

**شَهِدْتُ بِهِ، فَقُومُوا صَدِّقُوهُ! فقلتمْ: لا نقومُ ولا نشاءُ**

**وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسّرْتُ جُنْداً، همُ الأنصارُ، عرضتها اللقاءُ**

**لنا في كلّ يومٍ منْ معدٍّ سِبابٌ، أوْ قِتَالٌ، أوْ هِجاءُ**

**فنحكمُ بالقوافي منْ هجانا، ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ**

**ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني، فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هواءُ**

**وأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء**

**كَأنّ سَبِيئَة ً مِنْ بَيْتِ رَأسٍ، تُعفيِّها الرّوَامِسُ والسّمَاءُ**

**هجوتَ محمداً، فأجبتُ عنهُ، وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ**

**أتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ، فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ**

**هجوتَ مباركاً، براً، حنيفاً، أمينَ اللهِ، شيمتهُ الوفاءُ**

**فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ، ويمدحهُ، وينصرهُ سواءُ**

**فَإنّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي لعرضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ**

**فإما تثقفنّ بنو لؤيٍ جُذَيْمَة َ، إنّ قَتْلَهُمُ شِفَاءُ**

**أولئكَ معشرٌ نصروا علينا، ففي أظفارنا منهمْ دماءُ**

**وَحِلْفُ الحارِثِ بْن أبي ضِرَارٍ، وَحِلْفُ قُرَيْظَة ٍ مِنّا بَرَاءُ**

**لساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ، وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الّدلاءُ**

**شرح القصيدة :**

مناسبتها / قال حسان قبل فتح المسلمين لمكة تهديداً لقريش ا

لنمط البنائي : قصيدة مركبة من شريحتين :

الشريحة الأولى : طلل ونسيب وفيهما تهديد خفي (1-10) .

الشريحة الثانية : تهديد مباشر (11- إلى آخرها) .

1 ) عفت / انمحت، ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء / أسماء أماكن كانت تعيش فيها الصاحبة ، و قيل إنها أماكن للغساسنة ، وهم قبيلة يمنية نزلت الشام ، وأقاموا مملكة الغساسنة / والرباط بينهم وبين حسان أنهم يعودون في أصل واحد ، هو الأزد.

منـزلها خلاء : أي ليس فيه أحد .

2 ) يؤكد الشاعر ويلح على معنى خلو الديار وإقفارها ،فهي الأن قفر، أي خالية من الناس والنبات والحيوانات والمياه ، بمعنى أنها خالية من أسباب الحياة، وبنو الحسحاس قوم ينتسبون للغساسنة ، تعفيها: أي الذي عفاها ومحى آثارها عاملان هما : الروامس والسماء ، الروامس : الرمس في أصله يعني الستر والتغطية ، ولذلك يسمى القبر رمسا ، والمقصود هنا الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار وتنقل التراب من بلد إلى أخرى ، السماء : أي المطر الذي ينزل من السماء .

3 ) يصف ماضي الطلل ، حيث أعاد للطلل كل العناصر التي فقدها في حاضره الموحش ، والأنيس / من يستأنس بحديثه ، فالشاعر يرجع زمنياً إلى ماضي الطلل ،فيوفر في ماض الطلل كل ما أفتقده في حاضره من أناس (أنيس ) ، ونباتات ومياه (مروج) ، وحيوانات مسالمة (نعم :الأنعام ، وشاء: شياه)

وهو إجمالا ركز في الأبيات الثلاثة على الطلل ، ثم ينتقل للحديث عن صاحبة الطلل

4 ) وقف على الطلل شوقاً إلى الصاحبة فقال: دع هذا (موضوع الطلل) وتكلم عن شيء يثير حزنك أكثر وهو (الطيف) ، الطيف : خيال الصاحبة الذي يزوره في منامه ، يؤرقني : يصيبني بالأرق والسهر ، ذهب العشاء: آخر الليل ، ينتقل من الطلل الذي أثار شوقه إلى صاحبة الطلل طيفها ، والطيف خيال الصاحبة الذي يأتيه في نومه ، فإذا انتبه من نومه وبات يعاني الأرق طوال ليله .

5 ) واسم الصاحبة شعثاء ، تيمته : استعبدته بالحب ، فصار عبداً لحبها ذليلاً لها ، وهو في الأصل الاستعباد ، يقال : تيم الله ، أي : عبد الله ، ونتيجة ذلك الاستعباد أنه لا يستطيع الشفاء من حبها ، وهنا لون بلاغي ، هو : الالتفات ، حيث قال : طيف يؤرقني ، ثم قال : لشعثاء التي قد تيمته ، و سر الالتفات : أنه يلفت انتباه السامع ويشد انتباهه فينـزل المعنى في نفسه منزل التوكيد ، كما أن فيه تلوينا للأسلوب وتنويعا فيه ، وبيان ذلك أنه قال أولاً: " يؤرقني " مستخدماً ضمير المتكلم ، ثم التفت فقال : " تيمته " مستخدماً الغائب ، مع أنه ما زال يتحدث عن نفسه

6 ) كأن : أداة تشبيه ، سبيئة : خمر يشترونها من قرية بت راس في الأردن مشهورة بجودة الخمور ومزجت هذه الخمر بالعسل والماء . أي : شبه ريق الصاحبة بالخمر المشتراة من قرية بالأردن مشهور بجودة الخمور ، ثم مزجت هذه الخمر بالعسل والماء .

وقد ذكر العماء قولين في هذا الموضع ، هما :

القول الأول : يذهب إليه الذين لا يروون قوله : " على أنيابها ... البيت " إلى أن خبر كأن محذوف ، الدليل على جواز ذلك :

أ – قول رسول الله في صفة الدجال :" أعور كأن عنبة طافية " ، والتقدير : كأن في عينه عنبة .

ب – وقول الشاعر : إن محلاً وإن مرتحلاً ، بمعنى : إن لنا محلاً وأن لنا مرتحلاً .

وعلى هذا التقدير لا يروون البيت السابع .

ويقدرون خبر كأن المحذوف ، والتقدير كأن سبيئة على أسنانها أو أنيابها .

القول الثاني : يذهب إليه الذين يروون البيت السابع ، فلا يقدرون خبرا لكأن لأن الخبر مذكور في ذلك البيت ، وهو قوله : على أنيابها .

7 ) الأشروبات : إذا عدّ الناس ما يستحسنون من الأشربة فكل الأشربة فداء الخمر . أي يقارن الشاعر بين الأشربة وبين الخمر ، ثم ينتهي إلى تفضيل الخمر . ويذكر أن الناس يجعلون اللوم على الخمر ، حين تعبث سكرتها بالرؤوس ، فيقع عراك بالأيدي أو سباب بالألسن ، فمعنى ( المغث ) في الأصل هو الدلك بالأصابع ، ولكنه يريد هنا العراك بالأيدي ، واللحاء : السباب والشتائم بالألسنة . معنى البيت : نحن نظلم الخمر كثيراً وتجعل الأعمال السيئة نتيجتها ، بينما هي بريئة من ذلك نحن نلوم الخمر ولكن لها صفات حسنة .

8 ) ينهن : أي يحرك ، اللقاء : الحرب . يصف تأثير الخمر ، والمخمور في حالة السلم ينتشي ، ويرى نفسه كالملوك ، لما تحدث من نشوة وأريحية ، يقول عمرو بن كلثوم :

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ ، إِذا أُمِرَّتْ عليه ، لماله فيها مهِينا

وللَّحِزُ : الضَّيِّقُ الشَّحيح النفْس الذي لا يكاد يعطي شيئاً ، فإِن أَعطى فقليل ، فهذا النوع من الناس إذا شرب الخمر سمحت نفسه بالعطاء

والخمر إذا ذكرت في الجاهلية فالغالب أن يراد بها الكرم

فهذا الأثر الأول المحمود للخمر .

الأثر الثاني : تورث في نفوسهم الشجاعة فيصبحون كالأسود التي لا تخاف من الحرب .

كيف يقول حسان رضي الله عنه ذلك وهو مسلم ؟!

في تفسير ذلك رأيان :

1. وهو رأي مرجوح ، وهو أن القسم الأول من القصيدة قاله في الجاهلية ، والقسم الثاني قاله في الإسلام ، وهذا كلام غير دقيق .
2. الرأي الراجح ، أن القصيدة كلها إسلامية ، قيلت في زمن واحد ، وما ورد فيها من ذكر الخمر سببه أن الخمر لم تكن قد حُرمت بعد ، لأن القصيدة قيلت قبل فتح مكة ، والخمر لم تحرم إلا في سورة المائدة بعد الفتح .

والأدلة على أنها قصيدة واحدة قيلت في نَفَس واحد أن معجم الألفاظ والصور والجو النفسي واحد في القسمين ، وزد على ذلك وجود صورة أم مشتركة بين القسمين هي صورة الاختلاط والتمازج كما سيأتي بيانه .

ماذا يوجد في الشريحة الأولى من علامات أسلوبية تدل على مقصده ، وأنه يهدد ويتوعد ؟

1. قوله : عفت بمعنى انمحت ، فو ( خلاء ) و( قفر ) الديار التي وصفها حل بها دمار غامض فصارت مقفرة موحشة ، حتى الآثار التي تبقى محيت ، فصورة الطلل الذي رسمه لهم كأن فيه إيماء من طرف خفي : هذا حال دياركم إن نزلنا بكم .

فكلمة المطلع ( عفت ) كأنها نذير شؤم ، وهو يستنـزل هذا الشؤم على ديار أعدائه ،

1. كذلك نجد أن اختياره لاسم صاحبته : شعثاء ، فيه إيحاء بالتفرق والتشعث ، تهديدا لهم
2. اختيار وزن القصيدة وقافيتها ، وبعض كلماتها يستحضر في أذهان السمعين قصائد تشبهها قيلت في مقامات التهديد والوعيد ، وكأن ذلك منهج فني متعارف عليه ، وسيدنا حسان هنا يستلهم قصيدة زهير بن أبي سلمى التي غرضها الهجاء والتهديد أيضاً ، ولها مطلع شبيه بمطلع حسان ، حيث يقول زهير :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالحساء

فذو هاش فميث عريتنات عفتها الريح بعدك والسماء

أوجه الشبه بين المطلعين :

1 – كلمة القصيدة الأولى (عفا ) (عفت) .

2 – القافية نفسها (همزة مضمومة ) .

3 – الغرض (هجاء وتهديد) .

4 – مطلع طللي في كلا القصيدتين .

5 – العفاء بفعل الريح والمطر في القصيدتين .

بعد تمام الشريحة الأولى انتقل إلى الثانية ، كيف كانت طريقة الانتقال ؟

للعرب في الانتقال ثلاثة طرائق :

الاقتضاب : وهو الانتقال من فصل إلى فصل فجأة دون تمهيد لفظي .

الاقتضاب القريب من حسن التخلص : وهو الانتقال من فصل إلى فصل بتهيئة لفظية فيها لطف وخفاء ، منها قولهم : دع ذا ، وعد عن ذا .

حسن التخلص : وهو الانتقال من فصل إلى فصل بتهيئة لفظيو واضحة بينة

مع ملاحظة أن الروابط المعنوية موجودة في الأنواع الثلاثة ، وأرفعها الأول ، لما يحدث من الإدهاش والمفاجأة .

سيدنا حسان انتقل بالطريقة الثانية ، وذلك أنه قال : (**وأُسدا** ما ينههما **اللقاء** ) الشرح : لما كان يصف تأثير الخمر ذكر أنها تورث الشجاعة في النفوس حتى يصيرون كالأسود التي لا تخاف من الحرب ، وهنا من كلمة الحرب انبثقت الشريحة الثانية الحربية.

نلاحظ: أن كل القصائد الرفيعة لها صورة أم لابد أن تبرز فيها ، فما الصورة الأم في قصيدة حسان : إنها (صورة الاختلاط والتمازج ) .

مواضعها : في الشريحة الأولى : مزاجها عسل وماء ، نعم وشاء ، الروامس والسماء ، مغث أو لحاء .

في الشريحة الثانية : فينا ، جلاد ، تختلط الدماء ، ففي أظفارنا منهم دماء .

ما سبب وجود صورة الاختلاط والتمازج ؟ لأنها تناسب أجواء التهديد بالاقتحام ودخول مكة .

شرح الشريحة الثانية :

1 ) عدمنا : جملة خبرية في ظاهرها ، لكنها إنشائية تفيد الدعاء ، أي الدعاء على الخيل ، وهو ليس على حقيقته بل يراد به التهديد ، فهو يدعو على هذه الخيل بالموت والعدم إن لم تقتحم مكة، وكداء اسم منطقة في مكة . وهو يوجه الخطاب إلى كفار قريش على سبيل التهديد ، ثم يأخذ في وصف هذه الخيل وسرعتها الفائقة باستخدام فعل المضارع الدال على التجدد والحدوث : (يبارين الأعنة مصعدات ) ، يباري – يجاريه وينافسه في الوصول ، ، يصف الخيل بأنها سلسة القياد ماضية لا تلوي على شيء ، ومباراتها الأعنة أي يعارضنها في الجذب ، لقةو نفوسها ورؤسها ، وعلك حدائدها ، ومصعدات : ذاهبات صعدا في شعاب مكة ، وفي رواية : ( يبارين الأسنة مصغيات ) ومبارة السنان أن يضجع الفارس رمحه ويمده أمام بين أذني الفرس ، فيركض الفرس ليسبق السنان ن ومصغيات : أي مائلات .

والصعود مظنة التباطؤ ، لكن من شدة اندفاع خيل المسلمين فإنها تصعد وهي تباري الأعنة في اندفاع ، وفي الشطر الثاني إلماح إلى الفرسان وما يحملون من أسلحة ، فالخيل عليها فرسان معهم رماح حادة مشرعة متهيئة لطعن الأعداء : ( على أكتافها الأسل الظماء ) ووصف الأسل بأنها ظاء على سبيل الاستعارة ، شبه الأسل بالإنسان الظامئ ، فالأسل تريد شرب الدماء ، وفي ذلك تصوير الاندفاع والرغبة الجامحة في القتال، التعطش في الرمح لا يكون إلا بإصرار من الفارس ، فهو انعكاس لشخصية الفارس واندفاعه للقتال .

والشاعر يصف لحظة اقتحام المسلمين لمكة ودخولهم على أهلها .

3 ) تظل الخيل مسرعة كسرعة المطر ، أي ليس هناك من رجال يقفون في وجه الخيل ، وتظل النساء تلطم الخيل بخمرها ، وفي رواية : تطلم – نفض خبز الملة . إشارة حسان هنا صادقة (من دخل دار..) .

4 ) يستمر حسان في التهديد لقريش مقدماً لهم خيارين للتفاوض :

1 – عدم المواجهة وندخل مكة نعتمر ............. إذا رفُض .

2 – المواجهة العسكرية .

5 ) وقد انتقى أشد اللحظات الحرب دموية ، وهي لحظة الجلاد ، ولا يكون إلا بالسيوف ، وهو يشير إلى أن الله هو الذي سيتحكم في هذه المعركة ، وهنا أثر إسلامي بين واضح .

أسباب النصر إجمالاً : 1 – وجود جبريل ) . 2 – وجود الأنصار .

6 ) السبب الأول للنصر هو أن الملائكة تقاتل معهم وعلى رأسهم جبريل هذا المعنى ليس من قبيل التزيد والادعاء ، وإنما بصدقه ما ورد في القرآن والسنة ، حيث نزلت الملائكة بالفعل وتلاحظ صدق المعاني عند حسان (تلطمهم + يعز الله فيه + جبريل رسول الله ) .

كفاء – نظير ، فليس هناك في البشر من يضاهي جبريل عليه السلام .

طريقة يستخدمها حسان في إنهاء الأبيات ( مذهب الأمثال ) تذييل يجوز أن يكون مثل : ويجري مجرى المثل . ، وذلك في قوله : " يعز الله فيه من يشاء "

7 ) السبب الثاني من أسباب النصر : وجود الرسول ، البلاء : الاختبار ، فالله عز وجل هو الذي قال وأمر بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم .

8 ) كأن الله من يقول شهدت به ، فالأمر بالإنزال والأمر بالتصديق من عند الله ، وهنا تأتي بشاعة ما اقترفه كفار قريش في كفرهم وعدم رضوخهم لأمر الله (لا نقول ولانشاء ) فجعلهم حسان في مواجهة مع الله و معاتدة لأمره سبحانه .

9 ) وكما حدث اصطفاء الله لجبريل والرسول ، فهناك اصطفاء ثالث للجنود الذين دعموا الدعوة الإسلامية وهم الأنصار (وحسان صادق في ذلك أيضاً بدليل الرجوع للتاريخ الإسلامي ) فكان الأنصار قبيلة أكرمهم الله بنصرة رسول الله وهم سبب النصر الثالث ، تلك الجموع الممتلئة قلوبهم بالإيمان ، عرضتها – هدفها ، اللقاء – الحرب .

10) نحن أهل قوة وعزيمة فلنا أيام معلومات مشورات مع العدنانيين والمراد قريش ، فيوما نقاتل ويوما نهاجي ، السباب يحدث بدون معارك ، أحياناً تحدث الحرب ، أحياناً تكون حرب كلامية ، وكلها فيها مواجهة ولقاء بالأعداء .

11) هذا البيت متفرع من الشطر الأخير الذي قبله فقال : نحكم – توضع في فم الدابة حديدة تمنعها من الأكل تسمى الحكمة ، فشبه قوافي الشعر القويات المسكتات اللاتي يردون بها على أعدائهم شبهها بالحديدة التي توضع في فم الدابة لتمنعها من أكل العلف ، وهذا التشبيه كناية عن قوة شعر الأنصار وحقارة خصومهم وعجزهم عن الرد ، ثم يثصف لحظة من لحظات القتال ، وهي أشدها هولا ، لحظة الالتحام (ونضرب حين) وقد سبق أن ألمح إليه ، والضرب لا يكون إلا بالسيف ، في هذه اللحظة التي يلتحم فيها المقاتلون وتكثر فيها الجراحات فإننا نظل نضرب ونقاتل حتى تختلط دماءنا بدماء أعدائنا ، واستخدم الفعل المضارع لدلالته على التجدد والحركة . وهذه كلها فقرات داخل الشريحة ، وكانت خطابا عاما للكفار ، خصص الخطاب بعد تعميم .

12) خصص حسان ووجه الخطاب إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله وكان كافرا ، وأخذ يقول الشعر في معاداة الإسلام ، كما كان يهجو رسول الله ) فأنت – دليل على الخطاب الخاص ، شبهه بالقصبة الجوفاء لا شيء فيها ، فأنت لا شيء فيك ، وإنما أنت خاو لا قلب لك ولا فؤاد ، أي جبان لاعقل لك ولا قلب .

13 ) يلاحظ أن كلمة السيوف حضرت بكثرة ، ومعجم الأسلحة حاضر في قصيدة حسان ، لماذا ؟ لأنها قصيدة حربية تصف الحرب .

قوله : وعبد الدار سادتها الإماء " ( عبد الدار ) بطن من قريش كانت لهم الرفادة واللواء والسقاية والحجابة ، وإذا كان الإنسان عبدا فهذا غاية الذل ، ولكن أشد منه أن يكون عبدا سادته الإماء ، ويرى البرقوقي شارح ديوان حسان أن هنا إشارة تاريخية إلى ما حدث يوم أحد حين كان رجال من بني عبد الدار يحملون اللواء حتى قتلوا واحدا تلو الآخر ، فحمله عبد لهم أسود ، فقتل ، فحملته امرأة منهم فاجتمعوا حولها (عبد + سادة طباق )

الثنائية المنوعة في قوله (العبد والأمة ) + ( تذييل يجري مجرى المثل ) .

14) أنت تجرأت وارتكبت جريمة الهجاء لرسول الله ، وأنا دافعت عنه وفي نهاية البيت تذييل يجري مجرى المثل.

(وعند الله ) دافعه إسلامي والمعنى إسلامي فهي مدافعة ليس لشيء سوى لله .

15) استفهام انكاري : كيف تجرؤ على هجاء الرسول وأنت لست له بكفؤ . ثم يأتي الدعاء أن يجعل شركما: (أبو سفيان ) فداء لخيركما (الرسول) دعاء على أبي سفيان .

16) يبين فداحة هذا الجرم الذي قام به سفيان : أنت لم تهجو أحداً بصفات يستحق أن يهجو عليها وإنما هو رجل مبارك أمين ، وبركته تحل حيث كان ، وهذا معروف في السيرة ، برا : البر هو فعل أنواع الخيرات ، الحنيف ، في الأصل الماثل الذي التزم بملة الحنيفية ، أمين الله – استأمنه الله على الرسالة ، شيمته – صفته اللازمة له خمس صفات وصف بهم حسان وأنهى البيت بالوفاء لأنه سيتكلم عن الغدر ونقض العهد الذي كان بين قريش .

17) لا قيمة لكلامك لأنك أنت أصلاً فارغ لا تساوي شيئاً لأنكم لا قيمة لكم .

18 ) هنا يظهر الروح الإسلامية التي تستبسل للدفاع عن الرسول وهذا معنى إسلامي نقي ، وحماية للرسول وعرضه ، وهذا لا يقوله إلا مسلم صادق الإسلام وبهذا أنهي خطابه لأبي سفيان. يبدأ بالتعريض بمن نقض العهد .

19) جذيمة – ممن نقضوا العهد . يابني لؤي أينما تجدوا بني خزيمة اقتلوهم لأن قتلهم يشفي الصدور.

20) سبب الدعوة إلى قتالهم: نصروا أعداءنا علينا ، نحن دخلنا معهم بحرب وشبه الجيش الإسلامي بالوحوش الضاربة التي تهجم على الفريسة عند ذلك يبقى تحت الأظفار بقايا دماء ، وهذا استعارة ، وذلك كناية عن قوة الجيش المسلم ، ولإثارة الرعب في نفوس الأعداء.

21) ثم يشير إلى الأخلاق التي قطعت نتيجة نقض العهد . من غدر برسول الله فالرسول تبرأ من الخلق الذي معه (قريظة ، الحارث بن ابن ضرار ) .

ينهي الشاعر القصيدة ببيت فخر بنفسه . لساني قاطع – شبه لسانه بالسيف الذي يقطع ما يواجه وأنه لا عيب فيه من تلثم أو أي عيب (تحليه ، وتخليه ) .

بحري – شعري مثل البحر العميق البعيد الغور

الدلاء – القصائد .

مهما يأتي بقصائد فإن البحر لا ينتهي ، يشير إلى تدفق الشعر لديه وغزارته وشبه الغزارة الشعرية بالبحر الذي لا يكدر ولا ينتهي .

وختمه بهذا الختام لأنه اعتبر نفسه في مواجهة عسكرية لذا شبه لسانه بالسيف .

فالكلمة جهاد .

س/ بعض من رأى هذه القصيدة زعم أنها لم تقال كلها في الإسلام ، فالشريحة الأولى جاهلية والثانية إسلامية كيف تردين ؟

نرد على ذلك من زاويتين : سبب قولهم ذلك هو ما جاء في مطلع من ذكر الخمر ، وذكر الخمر في القصيدة له تفسيران :

1 – أن الخمر لم تحرّم بعد لأن هذه القصيدة قيلت قبل فتح مكة والخمر لم تحرم إلا بعد الفتح في سورة المائدة .

2 – ذكر الخمر مناسب لأجواء القصيدة والحرب لأن الخمر في عرفهم تبث الشجاعة في النفوس ، وهذا يكون قبل المعركة أما بعد المعركة فالخمر ترتبط بأجواء الاحتفال والنصر وعندها يشربون نخب الانتصار .

3 ) وجود صورة أم سيطرت على القصيدة وصارت بمثابة بصمة لها وهي صورة الاختلاط

ما فائدة صورة الاختلاط في القصيدة التي عرضها التهديد ؟

صورة الاختلاط تناسب غرض القصيدة وهو التهديد باقتحام المسلمين لمكة حتى يخالطوا شعاب مكة وديارها وأهلها وهذه قيمة التصوير .

**شعراء القرى العربية**

ذكر ابن سلام في (طبقات فحول الشعراء ) : أن فحول شعراء المدينة خمسة ، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس ، من الخزرج (حسان بن ثابت / كعب بن مالك / عبد الله بن رواحة ) من الأوس ( قيس بن الحطيم / أبو قيس بن الأسلت).

**حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ثم النجاري الأنصاري:**

شاعر الرسول ، أمه الفريعة الخزرجية، أدركت الإسلام فأسلمت، قدم الرسول المدينة ولحسان ستون سنة([[4]](#footnote-4)) .

له مشاركة شعرية في أغلب حوادث الإسلام ورد ومناقضات مع كفار قريش :

في بدر :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب

في أحد له قصيدته :

منع القوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

كان حسان معجباً بها ، حتى أنه دعا قومه ليلاً وقال خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا ترووها عني ([[5]](#footnote-5)).

وله رثاء في حمزة . وفي فتح مكة :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منـزلها خلاء

وشعر في رثاء رسول الله .

**عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري :**

من السابقين الأولين من الأنصار . أحد النقباء ليلة العقبة ، شهد بدراً وما بعدها ، حتى استشهد في مؤتة([[6]](#footnote-6)) في جماد الأول عام 8هـ ، المسلمون ثلاثة آلاف والروم مئتي ألف . هو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة بعث به الرسول في ثلاثين راكباً إلى أُسير اليهودي فقتله قال عنه رسول الله : (( نعم الرجل عبد الله بن رواحة )) وكان أول خارج للغزو ، وآخر قافل.

قال المرزباني في معجم الشعراء : " كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، وكان يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم " ([[7]](#footnote-7)).

قال أبو الدرداء : " لقد رأينا مع رسول الله في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم إلاّ رسول الله وعبد الله بن رواحة"([[8]](#footnote-8)).

قال: فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فكره رسول الله ذلك ، ثم قال:

بخالد الناس عن عُرضٍ فنأسرهم فينا النبي وفينا يُنـزل السور

شعره : قليل ، لم يبق من شعره إلا القليل .

أما ضياع شعره فقد كان أشد الشعر على قريش بعد إسلامها لأن كان يعيِّرهم بالكفر.

شعره قبل الإسلام : وبعضه التبس بشعر كعب بن مالك .

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لتَنْزِلِنَّهْ إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّو الرَّنَّهْ قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ |  | طَائِعَةً أَوْ لاَ لَتُكْرَهِنَّهْ  مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ  هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ |

**كعب بن مالك الأنصاري السلمي :**

شهد العقبة وبايع بها، وتخلف عن بدر، وشهد أحد وما بعدها ، وتخلف عن تبوك ، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم .

قال ابن سيرين : قال كعب بن مالك بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قضينا من تهامة كل وتر تخبرنا ولو نطقت لقالت |  | وخيبر ثم أغمدنا السيوفا قواطعهن : دوسا أو ثقيفا |

فلما بلغ ذلك دوساً قالوا: خذو لأنفسكم لا ينـزل بكم ما نزل بثقيف ([[9]](#footnote-9)).

كان له صبر وبلاء يوم أحد ، حتى أنه جرح أحد عشر جرحاً .

رد في بدر على ضرار بن الخطاب وكذلك له شعر في أحد .

مجالدنا عن ديننا كل فَخمةٍ مذرَّبةٍ فيها القوانسُ تلمَعُ

فقال رسول الله : أيصلح أن تفعل: مجالدنا عن ديننا .

قال كعب نعم ، قال رسول الله : فهو أحسن .

وله رثاء في حمزة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صفيَّـةُ قـومي ولا تعجـزي  ولا تَسْأمي أن تُطيلي البُكـا فقد كان عِـزًّا لأيتامنـا يريـد بذاك رِضا أحـمد |  | وبكِّى النساء علـى حـمزة علـى أسـد اللـه فـي الهِزَّة وليثَ الملاحم في البِزَّة ورِضْوان ذي العرش والعـزَّة |

وله شعر في الخندق وفي مؤتة ، وبعد فتح مكة وبعد حنين ورثاء لرسول الله .

**الشعر في عصر الخلفاء الراشدين**

**1 – أبو بكر الصديق رضي الله عنه :**

من أهم الأحداث التي واجهها أبو بكر الصديق في عهده (حرب الردة) و(مسيلمة الكذاب) و(الفتوح) .

أما الردة فخطر داهم كبير، ولكن أبا بكر بإيمانه وحسن تدبيره ، وبعد نظره قضى عليها بحزم وسرعة وقد كان هناك طائفة من الأعراب لم تمض عليها في الإسلام مدة كافية لتشرب مبادئ الإسلام كلها مثل ما كان شأن المهاجرين والأنصار ، فلما توفي رسول الله وتولى أبو بكر عبر الحطيئة عن ذلك بقوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أطعنا رسول الله ما كان صادقاً أيــورثنا بكراً إذا مات بعده |  | فـيــا عجباً ما بال دين أبي بكر فتلك وبيت الله قاصمة الظهر |

وظهر البعض ممن يدعون النبوة ، مثل (مسيلمة الكذاب ) في ربيعة (الأسود العنسي) في اليمن ، وامرأة تسمى : (سُجاح بن الحارث) من تميم يقول قيس بن عاصم التميمي في ذلك :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف به وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

كل هذه الأحداث أشعلت جذوة الشعر فتراه يواكب كل حدث.

**2 – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - :**

استقرت الأمور في عهده ، ونشرت الدولة ظلها ، وكان عمر –رضي الله عنه – حريصاً على وحدة المسلمين ، محارباً للعصبية والقبيلة فمنع إنشاد شعر المناقضات بين مكة والمدينة، ويؤاخذ على الهجاء يقول الحطيئة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومنعتني شتم البخيل فلم يخفْ و أخَذْتَ أَطْرَارَ الكَلامِ فَلَمْ تَدَعْ |  | شتمي فأصبحَ آمناً لا يفزعُ  شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ |

لقد أراد رضي الله عنه أن يوجه الشعر وجهة سامية إسلامية فأرسل إلى عامله (أبي موسى الأشعري): "مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معاني الأخلاق صـواب الرأي، ومعرفة الأنساب" وقد أرسل إلى المغيرة بن شعبة في الكوفة ليعرف ما أحدث الشعراء في الإسلام من الشعر.

وحين قتلته يد الغدر طعناً بسكين أبي لؤلؤة المجوسي رثاه الشعراء منه قول جزء بن ضرار :

جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

**3 – عثمان بن عفان – رضي الله عنه - :**

عثمان رضي الله عنه رجل سمح لين ، لم تكن فيه شدة عمر فبدأت العصبيات تعاود بروزها، وكذلك الهجاء المقنع ، ولكنه لم يتهاون مع أمثال هؤلاء فلما هجا ( ضابي بن الحارث البرجمي) قوماً وقذف أمهم بالفحشاء وشكوه إلى عثمان ، حبسه على ذلك فحاول وهو السجين أن يغتال عثمان رضي الله عنه يقول :

هممت ولم أفعل ، وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

وكان أن حصلت الفتنة وثار الشغب ، وحوصر الخليفة ثم قتل ، فرثاه الشعراء مثل حسان:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا للرجالِ لدمعٍ هاجَ بالسننِ إني رأيتُ أمينَ اللهِ مضطهداً يا قاتلَ اللهُ قوماً كان شأنهمُ |  | إنّي عجِبْتُ لمَنْ يبكي على الدِّمَنِ عثمانَ رهناً لدى الأجداثِ والكفنِ قتلُ الإمامِ الأمينِ المسلمِ الفطنِ |

**4 – علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - :**

بويع رضي الله عنه بعد مقتل عثمان ، والأوضاع مضطربة ، فالأمويون يطالبون بدم عثمان، ومن المسلمين من لم يبايع بعد فسجل الشعر هذه التوترات بين المسلمين ومن الأحداث التي صورها الشعر (يوم الجمل ) وكان (محمد بن طلحة بن عبيد الله) قد خرج فيه براً بأبيه وكان كثير العبادة يسمى (السجاد) فقال قاتله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وَأشعَثَ سَجَّادٍ بآيَاتِ رَبِّهِ شَكَكَتُ لَهُ بالرُّمحِ جَيبَ قَمِيصِهِ عَلى غَيرِ شَيءٍ غَيرَ أَن لَيسَ تَابِعاً يُذَكِّرُني حَامِيمَ والرُّمحُ شَارِعٌ |  | قَلِيلِ الاَذَى فِيمَا تَرَى العَينُ مُسلِمِ فَخَرَّ صَرِيعاً لِليَدَينِ ولِلفَمِ عَلِيّاً ومَن لاَ يَتبَعِ الحَقِّ ينَدَمِ فهَلاَّ تَلاَ حَامِيمَ قَبلَ التَّقَدُّمِ |

وحين يتصارع عبد الله بن الزبير ومالك ، يقول ابن الزبير :

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

ومما يصور الاختلاف بين أهل الشام وأهل العراق قول (كعب بن جعيل ) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أرى الشام تكره ملك العراق وكل لصاحبه مبغض وقالوا علي امام لنا |  | وأهل العراق لهم كارهونا يرى كل ما كان من ذاك دينا فقلنا رضينا ابن هند رضينا |

وعندما حلت الفاجعة بمقتل علي بن أبي طالب على يد أحد الخوارج رثاه أبو الأسود الدؤلي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفِي شهْرِ الصِّـيامِ فجَعْتمُونا قتلتم خير من ركب المطايا  إذا استقبلتَ وجْه أبي حُسَيْن |  | بخَيْرِ الناسِ طُرّاً أجْمَعينـا وذللها ومن ركب السفينا رَأيتَ النور رَاقَ الناظرينا |

شعراء من البادية ، أسلموا وتوجهوا لرسول الله

((كعب بن زهير ))

اسمه وحياته :

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المُزني ، نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب فنشأت معه ملكة الشعر ، وأشهر أحداث حياته خبر إسلامه ، واعتذاره إلى رسول الله بقصيدته الشهيرة ، ويبدو في شعره طابع المدرسة الشعرية المحككة للشعر المهذبة له ، ولا عجب في ذلك فهو كأبيه زهير يهذب شعره وينتقي ألفاظه ، ويتبعه في براعه التشبيه والتصوير الحسي ، وكأستاذه (أوس بن حجر) في العناية بالألفاظ الغريبة .

مناسبة النص :

وَفَدَ بجير أخو كعب على رسول الله في أواخر سنة 7هـ فأسلم ، فاستاء كعب ، وبعث بأبيات إلى أخيه يؤنبه ويحثه على الردة ، وبلغت أبياته رسول الله فأهدر دمه ، ثم شهد بجبير فتح مكة وانتصار المسلمين فأرسل إلى أخيه وقال: " قد أوعد الرسول رجالاً بمكة فقتلهم وهو والله قاتلك أو تأتيه فتسلم " فقدم كعب إلى المدينة متنكراً واستجار بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأتى به المسجد وهو متلثم بعمامته بعد صلاة الفجر وقال : " يا رسول الله ، رجل يبايعك على الإسلام" بسط النبي يده ، فحسر كعب عن وجهه وقال: " هذا مقام العائذ بك يا رسول الله ، أنا كعب بن زهير ، فأمنه رسول الله ، وأنشد كعب قصيدته (بانت سعاد ) فسُرَّ بها رسول الله ولما وصل إلى قوله:

إن الرسول سيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

خلع عليه نبي الله بردته ، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بذل لكعب عشرة آلاف درهم فلم يبعها ، فلما مات اشتراها معاوية من ورثته بعشرين ألف درهم وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون ويقال أنها وصلت إلى سلاطين آل عثمان، وهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيديين .



**شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – (بانت سعاد ) :**

**لقصيدة:**

**بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ \*\* مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ**

**وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا \*\* إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ**

**هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً \*\* لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ**

**تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت \*\* كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ**

**شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ \*\* صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ**

**تَجلو الرِياحُ القَذى عَنُه وَأَفرَطَهُ \*\* مِن صَوبِ سارِيَةٍ بيضٍ يَعاليلُ**

**يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت \*\* ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ**

**لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها \*\* فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ**

**فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها \*\* كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ**

**وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت \*\* إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ**

**كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً \*\* وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ**

**أَرجو وَآمُلُ أَن يَعجَلنَ في أَبَدٍ \*\* وَما لَهُنَّ طِوالَ الدَهرِ تَعجيلُ**

**فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت \*\* إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ**

**أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها \*\* إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ**

**وَلَن يُبَلِّغها إِلّا عُذافِرَةٌ \*\* فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ**

**مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت\*\* عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ**

**تَرمي الغُيوبَ بِعَينَي مُفرَدٍ لَهَقٍ \*\* إِذا تَوَقَدَتِ الحُزّانُ وَالميلُ**

**ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها \*\* في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ**

**حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ \*\* وَعَمُّها خَالُها قَوداءُ شِمليلُ**

**يَمشي القُرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ \*\* مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهاليلُ**

**عَيرانَةٌ قُذِفَت في اللَحمِ عَن عُرُضٍ \*\* مِرفَقُها عَن بَناتِ الزورِ مَفتولُ**

**كَأَنَّ ما فاتَ عَينَيها وَمَذبَحَها \*\* مِن خَطمِها وَمِن اللَحيَينِ بَرطيلُ**

**تَمُرُّ مِثلَ عَسيبِ النَخلِ ذا خُصَلٍ \*\* في غارِزٍ لَم تَخَوَّنَهُ الأَحاليلُ**

**قَنواءُ في حُرَّتَيها لِلبَصيرِ بِها \*\* عِتقٌ مُبينٌ وَفي الخَدَّينِ تَسهيلُ**

**تَخدي عَلى يَسَراتٍ وَهيَ لاحِقَةٌ \*\* ذَوابِلٌ وَقعُهُنُّ الأَرضَ تَحليلُ**

**سُمرُ العُجاياتِ يَترُكنَ الحَصى زِيَماً \*\* لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكُمِ تَنعيلُ**

**يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِماً \*\* كَأَنَّ ضاحِيَهُ بِالنارِ مَملولُ**

**كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت \*\* وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلُ**

**وَقالَ لِلقَومِ حاديهِم وَقَد جَعَلَت \*\* وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا**

**شَدَّ النهارُ ذِراعاً عَيطلٍ نَصَفٍ \*\* قامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ**

**نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَين لَيسَ لَها \*\* لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ**

**تَفِري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها \*\* مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ**

**يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم \*\* إِنَّكَ يَا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ**

**وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ \*\* لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ**

**فَقُلتُ خَلّوا سبيلي لا أَبا لَكُمُ \*\* فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ**

**كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ \*\* يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ**

**أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني \*\* وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ**

**مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال \*\* قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ**

**لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم \*\* أُذِنب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ**

**لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ \*\* أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ**

**لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ \*\* مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ**

**مازِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعاً \*\* جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ**

**حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ \*\* في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ**

**لَذاكَ أَهَيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ \*\* وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ**

**مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسدِ مُخدِرَةً \*\* بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ**

**يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين عَيشُهُما \*\* لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ**

**إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ \*\* أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ**

**مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً \*\* وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ**

**وَلا يَزالُ بِواديِهِ أخَو ثِقَةٍ \*\* مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ مَأكولُ**

**إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ \*\* مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ**

**في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم \*\* بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسَلَموا زولوا**

**زَالوا فَما زالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ \*\* عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ**

**شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ \*\* مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ**

**بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ \*\* كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ**

**يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم \*\* ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ**

**لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ \*\* قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا**

**لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ \*\* ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ**

**الشرح :**

النمط البنائي للنص : قصيدة مركبة ثلاثية الفصل .

اعتذار ضمني غير مباشر

الفصل الأول : ( غزل ) من البيت (1) إلى (13) .

اعتذار صريح مباشر

الفصل الثاني : (رحلة) من البيت (13) إلى (35) .

الفصل الثالث : (مدح واعتذار من البيت (36 ) إلى (55)

**شرح الفصل الأول ( من 1 إلى 13) :**

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| الكلمة | معناها | الكلمة | معناها |
| بانت سعاد | رحلت | أفرطه | ملأه |
| قلبي متبول | سقيم | صوب –سارية | مطر سحابة تأتي في الليل |
| متيمّ | مستعبد | بيض يعاليل | سحاب أبيض متراكم |
| تجلو | تُظهر | خُلة | صداقة تتخلل محبتها القلب |
| عوارض | ما بعد الأنياب من الأسنان وهي الضواحك | سيط من دمها | خلط بدمها |
| ذي ظلم | ماء الأسنان | فجع | الداهية |
| الراح | الخمر | ولع | الكذب |
| منهل | سُقي الشرب الأول | إخلاف | اخلاف الوعد |
| معلول | الذي شُرب منه مرة بعد مرة | عرقوب | رجل عُرف بإخلاف الوعد |
| شجّتْ | مُزجت | العتاق | الإبل الكريمة |
| ذي شيم | ذي برودة | النجيبات | جمع نجيبة أي أصيلة |
| ماء محنية | حيث ينحني الوادي | المراسيل | السريعة |
| وهو مشمول | هبّت عليه رياح الشمال الباردة | أغَنَّ | غزال في صوته غُنّـة |
| القذى | ما يكون من الشوائب على سطح الماء |  |  |

**حركة المعنى في الفصل الأول :**

السعادة تفارقه وأثر ذلك على قلبه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 1-بانت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ |  | مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ |

جمال سعاد وحسنها يجذب إليها ويرغب فيها (الأمل):

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 2-وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا 3-تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت 4-شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ 5-تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه |  | إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ من صوب سارية بيض بعاليل |

انبثاق القلق :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 6- فيا لها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت |  | موعودها، أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ |

أفاعيل سعاد التي تصرفه عنها وقد يؤدي لليأس منها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 7-لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها 8-فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها 9-وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت 10-فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت 11-كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً |  | فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ  إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ |

تجاذب بين الأمل واليأس، الأمل يدفعه للإقبال، اليأس يدفعه للإعراض والترك مما يظهر توتره وحيرته وتمزقه:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما لهن طوال الدهر تنويل

يتخذ قرار وترجع كفه الأمل رغم خلال الخوف:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 13-أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها |  | إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ |

تبدأ القصيدة بجملة فعلية من فعل وفاعل : (بانت سعاد) وهي خبرية . والمراد : رحلت سعاد ، وقد عطف على هذه الجملة كل الجمل التي في بقية البيت ، وكأن كل تلك الجمل تولدت من تلك الجملة وترتبت عليها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيمّ إثرها ، لم يفد ، مكبول

وجملة (بانت سعاد) فيها الكثير من الحنين واللوعة والفقد وشَجَن النفس ، وهي معرقة في الشاعرية ، فقد ذكر ابن هشام أن هناك خمسمائة قصيدة بدأت بـ (بانت سعاد) فهي مفتاح النغم ثم يذكر أثر ذلك الفراق على قلبه في أربع جمل:

(قلبي اليوم متبول) أي أصاب قلبه السقم .

ثم (متيم إثرها ) أي قلبه ، والمتيّم المستعبد .

ثم (لم يُفد) فيجعل قلبه كأنه أسير لم يدفع فداؤه فبقي في أسره .

ثم (مكبول) أي ذلك القلب الأسير مكبّل لا فكاك له .

ثم يكرر في البيت الثاني ذكر سعاد ، وهذا فيه وضع الظاهر موضع المضمر ، وذلك لأن اسم المحبوب مما يُتلذذ بذكره.

مستخدماً أسلوب القصر بالنفي والاستثناء ، وقد استخدمه كثيراً في القصيدة : (ما سعاد) نفي ..(إلا أغن) استثناء .

وفيه تقوية للمعنى وتأكيد له ، وفيه تشبيه صاحبته سعاد بغزال في صوته غُنة ، ثم وصف عيني ذلك الغزال (غضيض الطرف ) أي فاتر الطرف، و(مكحول ) أي سواد العينين خلقة .

ثم في البيت الثالث إلى البيت الخامس : (وصف ثغر الصاحبة) وبدأ ذلك باستخدام الفعل المضارع (تجلو) أي تُظهر وتكشف ، والفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث، فهي إذا ابتسمت تكشف عن عوارضها، أي: أسنانها التي يجري عليها ريقها العذب البارد ، وقد جاء هذا بتشبيه، المشبه : (ثغر سعاد العذب البارد ) المشبه به : (منهل بالراح معلول ) إلى نهاية البيت الخامس . والمنهل : اسم مفعول من الفعل (أنهل) .

فشبه ثغر صاحبته حين تبتسم فتظهر أسنانها وما فيها من الريق الطيب كأن ذلك الثغر لطيبة قد ُسقي الخمرة مرة ثم مرة أخرى . ثم أخذ يصف تلك الخمر وأنها قد شُجت ، أي : مزجت حتى تنكسر حدتها بماء ذي شبم، أي : ذي برودة ، وأخذ يحكي حكاية ذلك الماء الذي مزجت به الخمر، فهو من ماء محنية ، أي أنه ماء يجري حيث ينعطف الوادي ؛ لأن ذلك أصفى وأرق له، وبيّن أنه في (أبطح) وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وهذا، وهذا يكفل صفاء الماء في اعماقه، ثم إنه إذا دخل عليه وقت الضحى هبّت عليه رياح الشمال الباردة. وحين تهب عليه الرياح فإنها تنفي ما يكون على وجه الماء من القذى، فهو صاف في أعلاه وفي عمقه وكان قد ملأ ذلك الوادي بمائه العذب البارد سحابة سارية أتت ليلاً، وهي من سحائب بيض متراكم ، فتتبع قصة الماء وأصله.

وفي هذا الجزء من الأبيات (من 2 إلى 5) تجده يصف حسن سعاد، وهذا مما يجذبه إلى حبها ويرغبه فيها .

ثم يأتي البيت السادس وكأنه انتقال من الأمل والرجاء اللذين يدفعانه للإقبال عليها والسعي نحوها إلى الخوف من العلاقة معها واليأس .

حيث بدأ يقول : (فيالها خُلة ) فيها تعجب وتعظيم لشأن هذه الصداقة التي تخللت قلبه بمودتها ، وفي ذلك ما فيه مما يدفع للإقبال عليها، ولكن المفاجأة بقوله : (لو أنها صدقت) وكل الروايات الأخرى لهذه الجملة تطوف بهذا المعنى: (ويل أمها خلة) ، (أكرم بها خلة) ، (يا ويحها خلة) ، (وأهاً لها خلة ) ففي قوله : (يا لها خلة ) إقبال ورجاء وتعلق وحب . وفي قوله (لو أنها صدقت) انكسار وألم وحسرة و(لو) يظهر فيها معنى التمني ، وذلك يكون في المستبعد ، فصدها مستبعد ، وكذلك قبولها النصح .

وهنا تأتي الأبياء من (7 إلى 11) ونجده يكرر كلمة (خُلة) وفي ذلك إشارة إلى تمكنها من قبله.

ولكن قد سيط من دمها وخلط به أمور مذمومة من الفجع والكذب وإخلاف الوعد، ولذلك فهي لا تدوم على حال، بل كثيرة التغير والتبدل وهذا يورث القلق وعدم الاطمئنان والتوتر، وشبهها في تقلبها وتلونها بالغول ، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول وقيل إنه ما كان يظهر للمسافرين في الصحراء فيتبعونه حتى يضلوا ويهلكوا وهي كذلك لا تفي بوعدها ولا تمسك ، وشبهها في ذلك بالغربال الذي لا يمسك الماء فإمساك هذه المرأة بالعهد لا يكون كما أن إمساك الغربال للماء لا يكون، وهنا يخاطب الشاعر نفسه محذراً لها ألا يغتر بما تمنى وما تعد لأن ذلك كله محض أضاليل تورث الضياع والهلاك ، وهي في ذلك تشبه حال عرقوب الذي ضربت به العرب المثل في إخلاف الوعد .

ثم نفاجأ أنه بعد كل ذلك قال: (أرجو وآمل ) وفيه بيان شدة تعلقه بها وأنه لم يقطع الرجاء من مودتها، وإن كانت دواعي القلق والخوف لا زالت حاضرة : (مالهن طوال الدهر تنويل) .

ولكن سيدنا كعب رضي الله عنه يعلمنا معنى العزيمة والإرادة القوية ، فهو يتخذ قراره الصعب رغم كل المخاوف والأخطار والتردد كي يحقق حلمه وأمله ،حين رحل إلى سعادة متخذاً أداة بالغة القوة والأصالة وهي ناقته الأصيلة .

وهذا البيت يمثل الانتقال من فصل الغزل إلى فصل الرحلة بطريقة (حسن التخلص) لأن فيه تهيئة لفظية ومعنوية لذلك الانتقال ، فسعاد أمست في أرض بعيدة لن يبلغه أيَّاها إلا ناقة أصيلة ، وهكذا ينتقل للرحلة .

**شرح الفصل الثاني: الرحلة ( من 13 إلى 32) :**

| الكلمة | معــــــــناها |
| --- | --- |
| عذافرة | الناقة الصلبة العظيمة . |
| الأين | التعب والإعياء |
| إرقال وتبغيل | نوعان من سير الإبل |
| نضاخة الذفر | تنضخ الدفري منها بالعرق ، والذّفري ما تحت أذن الناقة |
| عُرضتها | همتها وعزيمتها كل مكان مجهول |
| طامس الأعلام | كل طريق طمست العلامات التي يُهتدى بها فيه. |
| الغيوب | كل ما غاب عن عينيك |
| مفرد | ثور وحش |
| لهق | لون الثور أبيض |
| الحزّان | الأماكن الغليظة الصلبة |
| الميل | ما انعقد من الرمل |
| ضخم مقلدها | أي موضع القلادة من الناقة |
| حرف | أي ناقة صلبة تشبه حرف الجبل |
| من مهجنة | أي من إبل أصيلة كريمة |
| قوداء | ناقة طويلة الظهر |
| شمليل | سريعة خفيفة |
| اللبان | الصدر |
| الأقراب | الخواصر |
| زهاليل | جمع زهلول ، أي : أملس |
| عيرانة | ناقة صلبة تشبه العير وهو حمار الوحش |
| قنواء | ناقة في أنفها إحديداب وهو صفة أصالة |
| في حرتيها | في أذني الناقة |
| مذبحها | نحرها |
| برطيل | حجر مستطيل |
| لاحقة | ضامرة |
| يسرات | قوائم الناقة |
| سمر العجايات | هي عصب قوائم الإبل |
| زيم | متفرق |
| مصطخداً | محترقاً |
| أوب ذراعيها | رجع يديها وهي تسير |
| القور | كل ما ارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً |
| العساقيل | السراب |

(أمست سعاد) اختار الشاعر كلمة (أمست ) ليشير إلى أن صاحبته صارت في مكان بعيد، يتغشاها ظلام وليل وهول ، وأنه لن يصل إليها إلاّ إذا اقتحم الأهوال واجتاب الظلمات، للإيحاء ببعد مطلبه ، وأن الإنسان الحُرّ لا تثنيه مخاوفه وما يواجه من تحديات عن السعي إلى مقاصده مهما رأها بعيدة، ولكن عليه أن يُعدّ عدة المواجهة بأداة صلبة قوية ماضية، وعند سيدنا كعب كانت أداته ناقته القوية، ولذا كرَّر التبليغ : (لا يبلغها) مرتين ، ليجعله محوراً لمعاني فصل الرحلة، فهو جذر المعنى، والناقة وسيلة ذلك التبليغ ، ثم أخذ يصف ما في الناقة وقد حرص على إبراز صفات ناقته في قلب أكثر الظروف صعوبة وعسراً، وكأنه يؤكد أن تميز المتميز لا يظهر إلاّ في أحلك المواقف وأشدها هولاً وكأن الصعوبات تخرج ما في أعماق المتميزين من طاقة وتحد واقتدار.

فالناقة حين تصل إلى أشد لحظات التعرق ، حين ينضخ العرق من خلف أذنها فإنها لا تبالي ، بل تقتحم تلك الصحراء التي طُمست معالمها، فلا اهتداء فيها، فهي مجهولة الطريق، ومع كل ذلك فإنّ ناقته القوية الذكية الصبورة تقتحمها وتجتازها.

وهي ذات قلب حي متوقد ، فحين تقتحم الصحراء تراها تنظر إلى مجاهيل الصحراء ، وشبه نظرتها بالرمي ، فقال: (ترمي الغيوب) وشبه نظرات عينها بنظرات ثور وحشي منفرد وحيد، لونه أبيض ، فهو متوجس ، مترقب ، متوتر ؛ لأن انفرده ولونه الأبيض يجعله ظاهراً للأخطار من وحوش الصحراء ومن الصيادين وكلابهم، ولذا تجد نظرات عينيه دائماً في غاية الترقب والحذر فنظرات ناقته مثل نظرات ذلك الثور ، مع أن المناخ شديد الحراة .

ويمضي سيدنا كعب يصف ناقته من أعلاها ، فهي ضخمة الرقبة حيث توضح القلائد ومن أسفلها ، فهي ضخمة الأطراف حيث يوضع القيد ، فهي صفوة الصفية وهي حَرْف أي صلبة مثل حرف الجبل ، من أصول كريمة، فأخذوها مثل أبيها في الكرم، وعمها مثل خالها في الأصالة ، ثم يأتي بتلك الكناية التي يراد بها وصف عراقتها في الأصالة ، وأنها مكتنـزة الجسم ولذا فجلدها أملس مصقول ، ولذا إن مشى القُراد عليها فإنه يسقط ولا يثبت لما تتميز به من صدر وخواصر مُلس وينتقل ليصفها من الأمام ، فيشبه وجهها من المنطقة التي بين عينيها إلى نحرها يشبهها بالحجر المستطيل (البرطيل) وبعد أن وصفها من الأمام ، انتقل ليصفها من الخلف ، فيصف ذيلها، فهي تحرك ذنباً مثل عثيب النخل كناية عن كثرة وغزارة شعره لم تنقص غزارة شعره لا حمل ولا رضاع، فهي وافرة القوة والشباب .

ثم يعود ليصفها من الأمام ثانية فيصف أذنيها وأنفها مدققاً في التفاصيل ، فأنفها أقني وهذه علاقة يعرف بها الخبراء أصالة الناقة وكذلك في أذنيها يتبين عنقها وأصالتها والحال كذلك في خدها السهل الطويل .

وكي يحيط بكل صفاتها يعود ليصور لنا صفات أسفلها من خلال وصف قوائمها الخفيفة السريعة ذات العصب السمر ، تلك القوائم التي تتحرك حركة سريعة وهي تسير في الصحراء ، ولذا تقذف الحصى فتتركه متفرقاً، ولإصالتها لا تخفي في سيرها، ولا تصاب أخفافها بالجراح، ولذا لا تحتاج لصنع نعال لها كشأن الإبل الضعيفة.

وهنا حين وصل إلى وصف حركة قوائمها ، وهي التي عليها الاعتماد في إبلاغه غايته نجد الشاعر يقف ستة أبيات كاملة يشبه فيها حركة ذراعي الناقة (من 26 إلى 31) كأن أوب دراعيها ... ذراعاً عيطل نصف ... الخ .

المشبه : رجع ذراعي الناقة إلى صدرها هي تسير في الصحراء .

المشبه به : رجع ذراعي امرأة فقدت ولدها البكر، وهي امرأة عيطل ، أي : طويلة وتصف : في نصف عمرها بين الشابة والكهلة ، فلا أمل لها في الإنجاب ، وهي ذات عويل ، ونواح تبكي ، ومن حولها نسوة مثلها فقدن أولادهن ولذا فالمرأة نوّاحة ، وهي كذلك (رخوة الضبعين) والصبح هو العضد : ويصف حالها حين بلغها نعي ولدها، فلم يعد لها عقل. ولذا جعلت تقطع صدرها وتشقق مدرعها وصار مدرعها مشقق إلى قطع ممزقة .

ومن المهم أن نلاحظ أن الشاعر فَصَلَ بين المشبه والمشبه به بعدة جمل اعتراضية :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت  يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِماً وَقالَ لِلقَومِ حاديهِم وَقَد جَعَلَت شَدَّ النهارُ ذِراعاً عَيطلٍ نَصَفٍ نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَين، لَيسَ لَها تَفِري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها |  | وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلُ كَأَنَّ ضاحِيَهُ بِالنارِ مَملولُ وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا ناحت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ |

سبب الاعتراض هو سره: له سر عام ، وسر خاص ، سره العام أنه حين تأتي جملة أو مجموعة جمل مقتحمة في غير مكانها فإن ذلك ينبه السامع أو القارئ ، فإذا تنبه نزل المعنى من نفسه فنـزل التأكيد وسره الخاص هنا أنه يرسم لك لوحة متكاملة لخلفية المشهد، فكأنك تراه أمام عينيك وتسمع وتحس كل ما فيه شرح الجمل الاعتراضية :

قوله : ( وقد تلفع بالقور العساقيل) يصف شدة حرارة الحر والقور جمع قارة، وهي كل ما ارتفع ولا يبلغ أن يكون جبلاً والتلفع : الالتفاف بالثوب ، والعساقيل: السراب أي : حين ترى القور من شدة الحر كأنها متلفعة بثياب من السراب .

قوله : (يوماً يظل.. ) في ذلك اليوم الذي يظل فيه الحرباء مصطخداً، أي يؤلمه دماغه من حر الشمس ، حتى كأن ما واجه الشمس من جسمه مملول في النار ، وهذا وصف لتأثير الحر الشديد على الكائنات ومنها الحشرات التي في الأرض ) .

قوله : (وقال للقوم حاديهم .. قيلو ) هنا يصف تأثير الحر على الناس، بل على أكثر الناس صبراً وخبرة بالصحراء ، وهو الحادي ؛ لأنه من شدة الحر ينادي أهل القافلة وصحبته المسافرين ويقول لهم: قيلوا ، أي أنـزلوا للقيلولة من شدة الحر .

وفي ذلك الأثناء ( جعلت ورق الجنادب يركضن الحصا ) أي يعيف حال جنادب الصحراء الغُبر التي من شدة الحر لا تكاد تستطيع الوقوف ، فما أن تقف حتى تقفر فتحرك الحصى.

وكل ما سبق كنايات عن شدة الحر وصعوبة متابعة الترحال في الصحراء في مثل ذلك المناخ.

ورغم ذلك كله فإن ناقته تواصل السير ، بل تتألف وتسير سيراً سريعاً متواصلاً فلا ترى إلا رجع حركة ذراعيها إلى صدرها وكأنها حركة ذراعي امرأة كبيرة في السن طويلة تامة الأعضاء ، فقدت بكرها، وحولها نسوة مثاكيل ، فهي لا تنفك تبكي وتنوح وتلطم ، وكل ما أدخله الشاعر من عناصر على المشبه به فإنما المراد به استمرارية تحريك الذارعين كي يحقق هدف التشبيه .

وبعدها يعود الشاعر إلى وصف حالة أثناء رحلته : (يسعى الوشاة) حيث يصف إحاطة الوشاة به، وكيف أنهم صاروا حشداً من حوله يسمعك أصواتهم وهم يؤكدون له قتله بلسان واحد وصيغة واحدة : (إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول ) وهذا البيت يصف موقف الوشاة المعادين لهم.

وفي البيت الذي يليه يصف موقف الأخلاء وهم الأصدقاء المقربين ، فهم تخلوا عنه وادعوا أنهم منشغلون وهنا يعلن الشاعر بكل شجاعة وصبر: (خلو سبيلي) إيماناً بأن كل ما قدر الرحمن مفعول ، والموقت قدر كل إنسان في النهاية ثم يأتي ثلاث أبيات : (أُنبئت أن رسول الله أوعدني) هي الجملة الأم فيها ويظهر هنا أن سيدنا كعب كان قد عرف أموراً عديدة عن الإسلام، فقد كرر كلمة رسول الله مرتين ، ليؤكد إقراره برسالة سيدنا محمد على السلام ، وأن العفو عنده مأمول (مهلاً) أي أمهلني مهلاً ، وهذا للاستعطاف وطلب الرفق به، مذكراً بفضل الله على رسوله : (أعطاك نافلة القرآن فيه مواعظ وتفصيل ) وهذا القول يدل على معرفة الشاعر بالقرآن ، وأن فيه آيات وعظ ، وفيه آيات تفصيل للأحكام، ثم يصف هيئة رسول الله في نفسه من (42إلى 47) حيث شبه هيئة رسول الله في نفسه بهيئة أسد ، ثم قصّ قصة ذلك الأسد .

التشبيه هنا تشبيه ضمني .

المشبه : (هيئة رسول الله في نفسه ) .

المشبه به : (أسد خادر أي داخل خدره أي عرينه يسكن في بطن وادي عثّر في أرض بعيدة أشد لتوحشه ، ولديه أشبال صغار ، وهذا مما يجعله أكثر شراسة وقوة واستبسالاً ، وهذا الأسد يغدو كل صباح فيطعم صغاره اللحم، وعيشهما دائماً على لحم البشر (لحم من القوم) وإذا صارع وحشاً مثله في القوة ، فإن المنتصر دائماً ، ولا يحل له إلا النصر فيترك خصمه مغلولاً منكسراً مهزوماً .

ولذا تخافه حمير الوحش، وتظل من خوفه ساكنة ، وكذلك الناس يخافون منه ، فلا يمشي في واديه أحد على رجليه أبداً .

ولا يزال في واديه جثث رجال أشداء مسلحين قد قتلهم الأسد ، فترى سلاحهم ملقى على الأرض وثيابهم ممزقة ، وأجسادهم ممزقة أشلاء .

(إن الرسول لسيف يستضاء به ..) إلى آخر القصيدة : هذه الأبيات إلى آخر القصيدة جاء أول بيت منها بمثابة المحور لها .

(إن الرسول لسيف ) جاء التوكيد بـ (إنّ) و(اللام) ليدل على قوة المعنى وتمكنه في نفسه، وفي هذه الجملة تشبيه رسول الله بالسيف الذي يستضاء به ، وهنا وصف نادر للسيف ، إشارة إلى أنه يحمي الحق ، ويقوى به الضعيف سيف يكف الظلم ، ويدحر انظلام ، وهو بذلك جمع في تشبيهه البديع بين الحق (الرسول ) والقوة (سيف) معاً ، ثم قال: (مهند) فأعاد ليؤكد معنى القوة والحسم والقطع، وأنه من سيوف الله ، وإسناد السيوف إلى الله فيه جلال ومهابة ، وهو مسلول مجرد من غمده ثم جاءت بقية الأبيات بعده لمدح الهاجرين ، وهذا من أبواب المدح الجليلة .

ولو سأل سائل : كيف يكون مدح المهاجرين مدحاً لرسول الله ؟ .

الجواب: لأنه هو قائدهم وقدوتهم ، فهو الأكمل في كل ما وصفهم به رضي الله عنهم ، وهم رجاله وأتباعه .

(في عصبة من قريش ) العصبة من العشرة إلى الأربعين وذكر نسبهم القرشي استحضاراً لمكانتهم ، فهم أهل حرم الله ، ولذا ذكر المكان فقال: (ببطن مكة ) وأنهم لما أسلموا هاجروا (زولوا) .

(زالوا فما زال ... ) لم يعطف بين فعل الأمر : (زولوا ) أي هاجروا وبين الفعل الماضي (زالوا) بحرف عطف ليبين سرعة الاستجابة ، ومسارعتهم إلى ذلك ثم ينفي عنهم النقائض :

(فما زال انكاس ) جميع يكس، وهو الضعيف من الرجال

ولا كُشف : جمع أكشف وهو من لا ترس معه.

ولا ميل: جميع أميل ، وهو الذي لا يثبت على سرج الخيل .

معازيل : جميع أعزل وهو الذي لا رمح معه .

وبعد نفي المعايب ، نسب إليهم المحاسن والفضائل : (شم العرانين ) ارتفاع الأنف كناية عن الإباء والشرف (أبطال) تبطل عندهم دماء أعدائهم لقوتهم ثم يصف لباس الحرب عندهم خاصة : (الدروع ) فهم يلبسون في الحرب دروعاً سابغات جيدة الصنع ، متداخله الحلقات، كأنها نبات القفعاء ، محكمة قوية .

ووراء قوتهم الجسمية قوة نفسية وسكنية الإيمان ولذا يصف حالهم في حال النصر وحال الهزيمة فإن انتصروا لا يطغى عليهم الفرح ، وإن أصيبوا لا يغلبهم الجزع وهو شدة الحزن . ولا يكون حال المرء كذلك إلاّ إذا وقر في قلبه الإيمان بقضاء الله وقدره والإيمان به سبحانه.

هذه السكينة والثبات تملأ قلوبهم إقداماً وشجاعة نصرة لدين الله ، فلا يخافون الموت ، بل يتقدمون نحوه ، والإبراز ذلك تأتي الكناية الرائعة في قوله : (لا يقع الطعن إلاّ في نحورهم ) كناية عن الإقدام والشجاعة ، ولذا لا تكون طعنات الأعداء إلاّ في نحورهم ، وليس في ظهورهم أبداً ، لأنهم لا يولون الأدبار .

وهم يمشون في الحرب بوقار ومهابة مشي الجمال البيض ، حين يهرب السود القصار الجبناء.

**الخلاصة :**

القصيدة قسمان ، قسم فيه الاعتذار الضمني لرسول ويشمل الفصلين الأول والثاني .

وقسم فيه اعتذار صريح لرسول الله ويمثله الفصل الثالث .

الصورة الأم في القصيدة :

هي صورة (الثياب ) حيث كانت في مقامات كثيرة ممزقة أو تقترن بما يوحي بالخوف ، مثل:

(كما تلّون في أثوابها الغول ) (تلفع بالقور العساقيل ) (مدرعها مشتق) (مطرح البز والدرسان) . ثم تتحول تلك الثياب الممزقة في آخر القصة إلى دروع حديدية سابغة ، لماذا ؟

لشعوره بالأمن في حضرة رسول الله ، بعد أن أسلم وصار واحداً من جماعة المسلمين .

(تمت القصيدة المباركة ، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم )

من شعراء البادية

الشماخ بن ضرار ، جاهلي إسلامي :

قال الحطيئة : " ابلغوا الشّماخ أنه أشعر غطفان .

اسمه ( معقل ) من أوصف الشعراء للقوس والحمر .

وكان الشجاع خرج يريد المدينة فصحبه (عَرَابة بن أوس الأنصاري ، فسأله عرابة عما يريد بالمدينة ، فقال أردت أن أمتار لأهلي ، وكان معه بعيران فأنزله ، وأكرمه، وأوقر له بعيرين تمراً وبُراً، فقال فيه :

رأيتُ عرابة َ الأوسيَّ يسمو إلى الخيراتِ منقطِعَ القَرينِ

إذا ما راية ٌ رفِعتْ لمجدٍ تلقاها عرابة ُ باليمينِ

أخوه جزء بن ضرار الذي رثي عمر : :

عليك سلام الله من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

الخطيئة :

جرول بن أوس من بني عبس ، لقبه الحطيئة من الحطأة وهي القملة الصغيرة لقصره وقربه من الأرض.

وهو القائل :

ولستُ أرى السعادة جمع مال ولكنّ التقيّ هو السعيدٍُ

وتقوى الله خير الزادِ ذخرا ً وعند الله للأتقى مزيد

لبيد بن ربيعة :

ناقش مقولة هجرة الشعر بعد الإسلام أبو الفرج في كتابه : (الأغاني ج14/97) .وفي ديوان لبيد شعر إسلامي ملحوظ ، مثل قولi :

ا الحمد لله الذي لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

:

ما عابت المرء الكريم كنفسه والمرءُ يصلحه الجليسُ الصالحُ

وقوله :

أَلاَ كلّ شيء ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل

وقوله :

إنّ تقوى ربنا خير نَفَل وبإذن الله ريثي والعجل

النجاشي الحارثي :

هو ( قيس بن عمرو) من بني الحارث بن كعب اجتمع هو وأبو سمّال الأسدي في الكوفة على طعام وسكر في شهر رمضان ، فحده علي بن أبي طالب ثمانين وزاده عشرين لجرأته في رمضان هجا (بني العجلان في عهد عمر ) :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

إنما دعا:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

ليت آل الخطاب كذلك:

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الوراد عن كل منهل

ذلك أقل للسكاك:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم

وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم خير خادمهم وكلنا عبيد لله :

وما سمي العجلان إلا لقولهم ... خذ القَعَب واحلب أيها العبد واعجل.

قال يفضل سيدنا علياً على معاوية :

واعلم بأن علي الخير من نفر

المخبل السعدي

متمم بن نوير : من ثعلبة بن يربوع .

خفاف بن نُدبة : السلمي من أغربه العرب ويكنى أبا خُراشة .

تماضر بنت عمر بن الشريد (الخنساء )

العباس بن مرداس .

عمرو بن شأس ، أبو عرار ، قال عنه ابن سلام : " كثير الشعر في الجاهلية والإسلام) أمية بن حرثان : جاء الإسلام وهو هرم (ابن سلام ، 1/190)

تميم بن أُبيَّ بن مقبل .

النمر بن تولب العكلي: كان أبو عمرو بن العلاء يسميه (الكيّس) لحسن شعره

سحيم بن وثيل: عاش إلى زمن علي بن أبي طالب، وهو القائل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أبو ذؤيب الهذلي: واسمه خويلد بن خالد، صاحب المرتبة الشهيرة حريث الماني: جاهلي إسلامي.

أبو خراش الهذلي: مات في زمن عمر بن الخطاب.

المتنخل الهذلي: القائل يصف مكانا : كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السياط .

سويد اليشكري:

**شعر الفتوحات**

حين انطلق المجاهدون إلى خارج الجزيرة لنشر الإسلام كانوا الشهداء ينشدون الأشعار الجماعية التي تشيع فيها معاني الإسلام ، وفي تلك المعارك كان يسقط الكثير من الهذاء فيرثونهم ، ومن ثمرات تلك الفتوحات أيضاً تلك الأشعار التي يحنُّ فيها الشعراء إلى مواطن صباهم وملاعب طفولتهم، وهكذا فإن الجهاد قد فتح آفاقاً جديدة للشعر العربي .

**نموذج من شعر الفتوحات :**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| 1- جَلَبْنا الْخَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تَرْدَى 2- إلى وادي القرى ، فديار بكرٍ 3- وَجِئْنَ الْقَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ 4- فناهضنا هنُالك جَمْعَ كِسْرى 5- فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ 6 - فَأَضْرِبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيعًا 7- وَقَدْ أَبْلَى الإِلَهُ هَنَاكَ خَيْرًا |  | بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كَاللَّيْثِ سَامِي إلى اليرموك فالبلد الشآمي مُسَوَّمَةً دَوَابِرُهَا دَوَامِي وأبْناء المرازبة الكِرامِ قَصَدْتُ لِمَوْقِفٍ الْمَلِكِ الْهُمَامِ بِسَيْفٍ لاَ أَفَلُّ وَلاَ كَهَامِ وَفِعْلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ نَامِ |

**معاني المفردات :**

| الكلمة | معــــــــناها |
| --- | --- |
| تردى | تركض وتعدو عدواً سريعاً |
| المرازبة | من هو دون الملك من الأشراف . |
| لا أفل | ليس بمثلوم ، والمثلوم الذي في حده كسور |
| ولاكهام | هو الكليل الذي لا يقطع ، أي : غير قاطع . |

**الشاعر :**

أبو شداد ، قيس بن مكشوح المرادي ، هو الذي قتل الأسود العنسي ، وله ذكر صالح في فتح القادسية ، من الفرسان الشجعان ، شهد فتح النعمان بن مقرن فتح نهاوند ، وهو ابن أخت الشاعر عمرو بن معد يكرب . وكان بينهما أمر في الجاهلية ، فقال في ذلك عمرو :

أُريد حياته ويريد قتلي غذيرك من خليلك من مراد

أي: أريد حياته ويتمنى قتلي ، فمن يعذرني فيه، وقد كان علي رضي الله عنه يتمثل بالبيت إذا رأى أبي ملجم .

**خصائص شعر الفتوحات من خلال النص :**

أ – من حيث الألفاظ والأساليب :

1. تمتاز ألفاظ شعر الفتوحات بالسلاسة والعذوبة تنساب كانسياب الماء دون تعقيد والتواء.
2. أنه شعر مقطوعات وليس من القصائد المطولات ، فالشاعر ينظم مشاعر الحماسية في شكل مقطوعات .
3. الخلو من المقدمات الطللية والغزلية فالشاعر جندي في ساحة الوغى يبث لوائج نفسه سريعاً قبل أن يفاجئه الموت .
4. الإكثار من ذكر أسماء المواقع والأماكن، وكأنه يقدم تقريراً إعلامياً مفصلاً .

ب – من ناحية المعاني والأفكار :

1. شيوع الطابع القصصي فيه ، والنص السابق يصور ذلك حيث قصّ علينا ما كان من أمره من حين خروجه من صنعاء إلى وروده القادسية ثم طبيعة الهجوم وما أسفر عنه وشجاعته فلا نستطيع أن تقدم بيتاً أو تأخره عما ينظم الشاعر لأنها أبيات ذات طابع قصصي متسلسل مترابط .
2. الطابع الإسلامي للمعاني : فشعر الفتوحات شعره ملتزم بروح الإسلام وتعاليمه فالفخر يكون بطاعة الله والجهاد في سبيله والمدح لمن التزم بذلك وأبلى في الله والرثاء لشهداء المسلمين فكل المعاني تشع فيها روح إسلامية صادقة تدور عن الجماعة المسلمة ، وبث الحماسة والشجاعة في أفرادها، والفخر بإقدام المجاهدين ، وحين يأتي النصر فإنهم يرجعون الفضل لله لا لأنفسهم(وقد أبلى الإله هناك خيراً... ) .

ج – من حيث الصور والخيال :

نتيجة لما اتسم به شعر الفتوحات من العفوية والبساطة بدت الصور فيه قريبة لا غموض فيها ولا تعقيد ، ولا ترد بكثافة في مقطعاتهم، ففي النص السابق نجد صورة خالية واحدة (بكل مدجج كالليث سامي) تشبيه الفرسان بالأسود .

**النثر في عصر صدر الإسلام**

**له ثلاثة فنون (الخطابة / الرسائل / الوصايا )**

**1 – الخطابة :**

ازدهرت في هذا العصر فنشطت الألسن وارتقت الخطابة ولها أنواع (الدينية / السياسية)

أول الخطب السياسية (خطبة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة ) .

**أسباب رقي الخطابة في عصر صدر الإسلام :**

1 – اتساع مجالها ، وتعدد موضوعاتها .

2 - اتخذها الرسول وصحابته وسيلة لنشر الإسلام فأودعوها الحجج والبراهين والمناقشات.

3 – حاجة رؤساء القبائل إلى الخطابة أمام النبي وحاجة المسلمين للخطابة أمامهم ، (وفد بني تميم وخطبتهم وخطبة المسلمين للرد عليهم ) .

4 – كثرة الحروب والمغازي واستخدام الخطابة تحفيزاً للجنة وإثارة لحماسهم .

6 – حروب الردة وظهور الأحزاب بعد مقتل عثمان وسار لكل حزب خطاب ينشرون دعوته.

**خصائص الخطابة في عصر صدر الإسلام :**

1 - صارت لها أصول ثابتة ، حين تبدأ بحمد الله والثناء عليه، فإن خلت من ذلك سميت بتراء . وبعد الحمد والثناء يكون الصلاة على النبي وإن خلت منها سميت (شوهاء ) .

2 – تأثرت بالقرآن الكريم والثقافة الإسلامية أيضاً دورها فعمدت إلى احتذاء أسلوب القرآن والحديث ، فعزت بالألفاظ، ورقت التعابير ، وسمت المعاني والأفكار .

3 – ابتعد الخطباء عن السجع ، وقل تكلفهم له لنهي رسول الله عن تكلف السجع الذي يذكر بسجع الكهان في الجاهلية .

4 – يقف الخطيب على مرتفع من الأرض ممسكاً في يده بالعصا أو الرماح .

5 – ربما يعمد بعض الخطباء إلى شيء من الشعر والأمثال والحِكَم في خطبهم لتأكيد المعنى وتوضيحه .

6 – وحدة الموضوع والترابط بين الألفاظ والجمل .

7 – صار للخطبة أقسام واضحة حيث تبدأ بمقدمة ثم الغرض الذي يحتوي على الأفكار والحجج ثم تأتي خاتمة ملائمة تمثل الهدف الذي يرمي إلى الخطيب من خطبته .

8 – لم يتكلف الخطباء الصياغة البيانية بل كانت تأتي الصور والمحسنات عفوا لخاطر دون تكلف وكانت جملهم من حيث الطول والقصر ملائمة للمناسبات والمعاني وامتازت بجزالة الألفاظ ورصانتها .

وإمام الخطباء وشيخ البلغاء في هذا العصر هو الرسول صلى الله عليه وسلم بلا منازع ، فهو أفصح العرب ، وقد كانت خطابه وسيلة للدعوة إلى الله ونشر الإسلام .

وامتازت خطبه عليه السلام بالقدرة على الإقناع ، والإيجاز مع الوفاء بالمعنى وعذوبة الأسلوب ، والتأكيد على المعاني ، فقد حقق عليه السلام لخطبه عنصري نجاح الخطبة (الاستمالة+ الإقناع ).

وخطبه في مكة تحتذي معاني الآيات المكية: دعوة للإسلام ، وتوحيد الله ، والإيمان بالبعث .

وخطبه في المدينة صارت خطابته وسيلة للشرع ، وإرساء الدولة الجديدة سلاحاً ماضياً لشحذ ههم المجاهدين .

مثال على خطبته مع الأنصار بعد غزوة حنين .

**نموذج من خطبة لرسول الله**

(( يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل ، فقال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل ، قال: أما – والله – لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مُكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك وعائلاً فآويناك) (وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تآلفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ أفلا ترضون – يا معشر الأنصار – أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ) الأنصار شعار ، والناس دثار، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وخطا .

**مناسبة الخطبة :**

بعد نصر المسلمين في حُنين ، وهزيمة ثقيف وهوازن ، وجمع الفيء والغنائم وزّع الرسول الغنائم على قريش وعلى قبائل من العرب ممن أسلم حديثاً ، ولم يقسم للأنصار شيئاً ، فتألم الأنصار، حتى كثرت منهم القالة : " لقي رسول الله قومه ... " فدخل سعد بن عبادة على رسول الله فأبلغه بتألم الأنصار ، فأمر رسول الله فاجتمعوا في مكان واحد ثم ألقى فيهم هذه الخطبة .

**معاني المفردات :**

| الكلمة | معــــــــناها |
| --- | --- |
| موجدة | ألم وغضب |
| عالة | فقراء |
| مخذولاً | لا نصير لك |
| واسيناك | أعناك بأموالنا |
| لعاعة | اللعاعة في الأصل النبات الأخضر القليل البقاء من الكلأ الحضيف ويراد به هنا الشيء القليل السريع الزوال الحقير التافه . |
| شعباً | وادياً |
| لولا الهجرة | لولا ثواب الهجرة |
| دثار | ما كان فوق الثياب |
| شعار | ما ولي شعر جسم الإنسان من الثياب أي أنتم الخاصة ، والناس عامة |

**تعليق على الخطبة :**

إذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهذه الخطبة مثال باهر على ذلك ؛ لأنها خطاب للقلوب المغرضة ، أتى فيها الرسول بالاستفهام البليغ الذي أحدث في نفوس الأنصار تجاوباً عاطفياً وفكرياً ، فرسول الله خاطب ببلاغته قلوب الأنصار مستخدماً ألمعاني والقيم التي يؤمنون بها، أي: فنطق الإيمان ، وحب الله ورسوله ، والتضحية في سبيل هذا الدين والترفع عن طعام الدنيا الفانية ، ولو وجهت هذه الخطبة للمؤلفة قلوبهم لما أحدثت ذلك الأثر ورسول الله أعظم داعية للإسلام ، ينوع أسلوب الدعوة حسب حالة المدعو فالمؤلفة قلوبهم سيتمالون بالمال، والمؤمنون الصادقون يوكلون إلى إيمانهم .

**سمات فنية للخطبة :**

1. امتازت الخطبة بالإيجاز البليغ الذي يجمع المعاني العظيمة في ألفاظ قليلة .
2. الألفاظ جاءت فصيحة سلسلة عذبة لا وعورة ولا وحشية فيها .
3. التراكيب تتسم بأنها متينة محكمة الربط دون تعقيد أو التواء .
4. الأساليب : غلب على الخطبة الأسلوب :

أ - الإنشائي الذي يدل على توهج العاطفة وصدقها وحرارتها تلك العاطفة المتوهجة هي التي شاعت في الخطبة وأحدثت ذلك التأثير في نفوس الأنصار من أمثلة الأسوب الإنشائي: الاستفهام : ما مقاله .. النداء: يا معشر الأنصار .... الدعاء : اللهم ارحم ... القسم: أما والله .

ب – ورد في الخطبة وضع الظاهر موضع المضمر ، في القسم الثاني من الخطبة في قوله : "والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار وشعار ، والثاني دثار " لوسار السياق على ما كان عليه لقال لكنت أمراً منكم ، فأنتم شعار والثاني دثار لكنه وضع الظاهر موضع المضمر .

ج – وذلك لأن في هذا القسم من الخطبة وقع القفات فبعد أن كان يتحدث مع الأنصار صار يتحدث ، أي التفت من الخطاب إلى الغيبة وكان يحدث الإنسانية كافة على أعظم نموذج بشري عاصر وحي السماء فاستحق ذلك التمجيد .

د – بدأ في أسلوب الخطبة تكرار لكلمة (الأنصار ) دلالة على حب رسول الله لهم وتلذذه بذكرهم .

هـ- اعتمد الرسول في أسلوبه على الادهاش والمفاجأة عن طريق المقابلة بدأ بمقابلة ذكر فيها فضله على الأنصار ثم فضل الأنصار عليه مقابلة ثانية مدهشة : الذي بين أن يعود الناس بالشاة والبعير ويعود الأنصار برسول الله.

1. اتسمت الخطبة بحلاوة النغم وجمال التقسيم والجمل ، مع وقوع بعض السجع دون تكلف "صدقناك / أويناك" " شعار / دثار " .
2. في الخطبة وردت بعض الصور الخيالية. الأنصار شعار .. والناس دثار . "في العاعة من الدينا" شبه شاع الدنيا وزينتها في حقارته وسرعة زواله .
3. بناء المعاني في الخطبة :

1 – مقابلة فضيلته صلى الله عليه وسلم على الأنصار بفضل الأنصار عليه محدثاً مفاجأة مدهشة للسامعين ، وكلما انتقل من فكرة إلى أخرى قطع واستئناف أما الجمل داخل كل قسم فيأتي بحرفي الوصل.

2 – توضيح حقيقة ما حصل للأنصار وأسبابه .

3 – بيان مكانة الأنصار.

4 – الدعاء للأنصار .

1. **() يحيى الجبوري - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه – ص 45 وما بعدها .**  [↑](#footnote-ref-1)
2. **() لسان العرب – مادة خضم ابن فارس – معجم مقاييس اللغة.**  [↑](#footnote-ref-2)
3. **() عَبْدَة بن الطبيب ، والطبيب اسمه يزيد ، وهو من تميم ، أدرك الإسلام فأسلم ، وكان عبدةً أسود ، وقد شهد مع المثنى ابن حارثة قتال هرمز سنة 13هـ ، وكان في جيش النعمان بن مقرن مع الذين حاربوا بالمدائن وكان لا يهجو أحداً ليس عن عي ، ولكن ترفعاً ، ويرى أن ترك الهجاء مروءة وشرف رحمه الله .**  [↑](#footnote-ref-3)
4. **() الإصابة ، ج1، اختلف في وفاته : 40هـ / 50هـ/ 54هـ.**  [↑](#footnote-ref-4)
5. **() السيرة النبوية ، لابن هشام ، 2/151 .** [↑](#footnote-ref-5)
6. **() مؤتة : تقع في الأردن شرق البحر الميت .** [↑](#footnote-ref-6)
7. **() الإصابة 2/299 لابن حجر العسقلاني .** [↑](#footnote-ref-7)
8. **() الاستيعاب 1/362 .** [↑](#footnote-ref-8)
9. **() الإصابة 3/276 .** [↑](#footnote-ref-9)